موعد مع الأمطار

مي فتحي سلامة

موعد مع الأمطار

مي فتحي سلامة

الطبعة الأولى ، ٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادى الطحان ، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

محمد كامل

تدقيق لغوي :

ضحى صلاح

رقم الإيداع : ٢٠١١/١٧٣٤٣

I.S.B.N: ٩٨٧-٩٧٧-٤٨٨-١٥٦-٠

موعد مع الأمطار

مي فتحي سلامة

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



موعد مع الأمطار



كن صديقي، ولا تبخل علي أيها المطر؛ فحبيبي لم يأتِ في موعده.

كن رفيقي في ساعاتي ولا تقسو عليّ أيها المطر؛ فحبيبي نسى موعدنا.. كن كالحبيب في برد الشتاء، وضمني إلى صدرك.

أيتها الأمطار اغمريني.. قبليني ولا تتركيني كحبيبي.. أيتها الأمطار لا تقفي وهجريني كحبيبي الذي نسي موعدنا.

كان موعدنا هناك عند الشجرة التي كانت مكان لقاءنا في أيام الحب الأولى.

أخذت حقيبة يدي وجريت أخاف أن أتأخر على موعدنا وعندما وصلت لم أجده فوقفت عند الشجرة أنتظره.

وطال الانتظار وعيني تتلفت تبحث عنه بين الناس، حائرة بين النظر على عقارب الساعة وبين أوجه الناس .

واقفة يداي يرتعشان بردًا والأمطار تسيل كالشلالات فأصبح حذائي تغمره المياه.. ورجعت قليلًا بذكرياتي إلى الوراء وتذكرت مكالمة هاتفية دارت بيني وبينه منذ سنوات وقتها سألني: هل تحبيني؟

فقلت: أنت لي بيتي وأرضي، أنت لي شمسي ونوري، أنت لي قمري وظلي.

قال بصوت ملئه الغرور: وها أنا أقول لكِ أنني لا أحبك وأحب أخرى.. هل فهمتِ؟

فأجبت والدموع تملئ عيني: تتخلى عني حبيبي.. إن كنت خائن فلا يهم.. إن كنت كاذبًا أيضًا لا يهم لكن لا تتركني.. لا تتركني بلا روح، بلا جسد، بلا قلب، أنت لا تحبني؟

قال: لا يهم.. أقول لكِ أحب أخرى فيجب أن أتركك.

قلت له: ألهذا السبب تود إلقائي خارج حياتك؟ ألهذا السبب تود مسحي من ذكرياتك؟ ظالمًا أنت.. ظالمًا.. فمعك لنهاية.. معك إلى الأبد.. تقول أنك أحببت غيري، تقول أنك عاشق لأخرى فما ذنبي أنا؟! أيها الظالم.. لا تقل شيئًا بعد الذي قلته، أحبك مثلما أنت ولي فخر أنك حبيبي، فأنا عاشقة الخائن.. ويا له من فخر!

فجأة صدمت به أمامي حاملًا باقة زهور ويقول: آسف حبيبتي لقد تأخرت بضع دقائق.

قلت: دقائق.. ويا لها من دقائق.. ذكرتني بأشياءٍ مضت. تركته في دهشةٍ واقفًا ومشيت.

أخذ يناديني: ماذا بك حبيبتي؟ لماذا ترحلين؟

وقفت ونظرت له: يا ليتك لم تتأخر تلك الدقائق.

قال: آسف حبيبتي.. لقد كانت بضع دقائق فقط.

نظرت له مجددًا: لا لم تكن بضع دقائق فقط ، كانت هذه الدقائق محملة بذكريات وماضي.

لم أتذكرها منذ سنوات سوى في هذه الدقائق، أريدك أن ترسل لي ورقة طلاقي غدًا أيها الخائن.

صرخ: ماذا تقولي؟.. لم أفعل شيئًا.. وزواجنا لم يمر عليه سوى أسابيع ماذا بك؟!

أقسم بربي أنني حقًا أحبك ولست خائنًا كما تقولين.

أدرت ظهري له وقلت: يا ليتك جئت في موعدك و لم يكن موعدي مع الأمطار.



مذكرات خائن



قطعيني وانشري أشلائي بين الشعوب وقولي لهم هذا شهيد الخيانة.

قولي لهم هذا من اختار حريته في سجن العبيد و وضعني أسير بين فكي الضباع.

ثوري واغضبي وحطمي الأطلال ، وانشري قصتي بين الجنود.. اصرخي هذا ضبع مثلهم.. لا.. لقد قتلوني بعد مهمتي، لا يريدون خائن وسطهم. ولم أنجح أن أكون واحدًا منهم.

اقذفيني بروث الجاموس وقولي باعني جهرًا لأعدائي وكتب اسمي تحت اسمه افتخارًا.

كنت جالسًا على قهوة الجوهرة عندما أتاني صديقي محمد فلعبنا الطاولة وتحدثنا قليلًا ثم أقنعني بالذي لم أكن أتوقع أن أقع فيه يومًا.. وذهبنا إليهم وقال لي أن ذلك سيحل مشاكلي الاقتصاديَّة وسوف أكون بأمان ولا أحد سوف يعلم بذلك وبدأت العمل بالفعل.. حتى أقنعوني أنني سوف أكون واحدًا منهم في يومٍ وأعيش معهم وسيكون لي مترلتي الخاصة في البلد.. فكرت بذلك وأعجبني الأمر وأصبح ذلك هو حلمي أن أعيش غنيًّا أمنًا.

وفي يوم بعد مرور عام قال أحدهم: بعد تأديتك المتميزة للمهمة، يسعدني أن أقول لك لقد انتهى دورك معنا، بعت

أرضك من أجل المال والأمن و لم تعلم أنك بعت روحك ثمنًا لهذا الأمن الذي لا يشعر به أحد إلا في بلده؛ فلقد بعت روحك بلا ثمن أيها الخائن.

ثم أخرج المسدس وأطلق الرصاص.

وسقطت أبكيْ دماءً يا بلادي لا تسامحيني وازرعي سكينًا في صدري و أشهدي أنت حرة وستظلين هكذا ولست أنا من سيجعلك أسيرة، لست أنا من يدفن كرامتك تحت أقدام أعدائك بل أنا لست إلا جاسوس إسرائيليّ.

لعل الحب يأكلني

قد سبحت في جسده، أبحرت في عروقه، تجولت بين أعضائه، تذوقت الدم من قلبه وجلست في أحشائه أنتظر لعل الحب يأكلني لكن أنا من أكلته.

يا من تسأل عن الحب؛ أقول لك أن الحب شعور يبتلع صاحبه، ويصبح المرء مقيدًا بشرايين الحب ، مكمما بيد الحب.

لقد تمنيت يوما أن يأكلني الحب كيفما أكل أشخاص من قبلي ومن بعدي؛ لكنه هرب مني فلحقت به وأكلته.

ظللت شهورًا على حافة الحب أقذف بنفسي كي أقع فيه لكنه كان يقذفني بعيدًا عنه.

في أول لقاء بيننا ، مددت يدي كي أصافحه فاختفت يدي بين يده الكبيرة وطالت المصافحة لبضع ثوان وأنا أتمنى أن أقتلع جزءًا من يده وأضعها في جيبي حتى لا يفارقني عطره ثم اقتربت منه قليلًا حتى أشعر بأنفاسه الخارجة من صدره فتغلغلت أنفاسه في أعماق صدري لكنى لم أشعر بها.

نظرت في عينه ويا ليتني لم أنظر فقد ذبحتني ولكن لم تذبحني بسيف الحب ولكن بسيف قرأت عليه "ممنوع الاقتراب".

وهذا لم يكن في أول لقاءٍ بيننا فقط لكن ظل حتى أخر لقاءٍ.

جلست معه وتحدثنا وتكلم كثيرًا، حاولت أن أعجب بسحر كلامه، بخيال كلماته، بلمعان حروفها لكني لم أستطع فلم أرَ سحر كلامه حتى أنني لم أرَ كلماته ولا حروفها، ولم أعرف أيضًا عن ماذا كان يتحدث!

اقتربت منه أكثر كي أسمعَ خفقان قلبه فلم أسمع شيء فأين قلبه؟

وفي يوم عندما كان جالسًا على العشاء رن هاتفه الخلويّ فأجاب: حسنًا حبيبتي سوف أتأخر قليلًا.

وعندما سألته: إلى من كنت تتحدث؟

قال: زوجتي.

نظرت إليه في دهشة وفوجئت بأن أبي لم يتحدث فنظرت إلى أبي فوجدته يكمل طعامه بشكلٍ طبيعيّ. وبعد أن انصرف خطيبي تحدثت مع أبي فقال لم يرتكب جريمة، فهو متزوج.. متزوج فقط.

قلت: ولماذا لم تخبرني بذلك؟

قال: ولما أخبركِ عزيزتي؟ فإنه رجل صالح ويحبك وسوف يوفر لكِ حياة كريمة.

قلت: هو لم يقل لي طيلة هذه الفترة.

قال بحماس: لقد كبرتِ يا ابنتي فيجب أن تتزوجي.

قلت: أرجوك يا أبي، اتركني أسبح في جسد آخر لعل الحب يأكلني.

كلما جاءني الحنين



قابلته و لم أكن أعلم من هو كأن شمسًا في شروقها حين رأيته وقتها ، يمشي بين الأشجار الخضراء التي كانت توائم لون عينيه ثم جلس والسماء من وراءه بلونها الأزرق تصفي و تهدئ و تتزين بسحبها البيضاء وكأنها قطعة من قميصه الأبيض. شعرت بشيء يجذبني للحديث معه دون الجميع.

في ترددٍ ذهبت نحوه ولكنه كان سارحًا في عالمٍ آخر ليس شاعرًا بوجودي جانبه و عندما جلست تحركت رأسه نحوي وابتسم ابتسامة طفل وكأنه يعرفني من قبل.

تكاثر الخجل بداخلي و لم أعرف ماذا أقول و لكن ابتسمت أنا الأخرى.

في هدوء قال: اسمي سامر.

تعلمون هؤلاء أشباه الملائكة كما نقول عليهم هذا هو واحد منهم، هذا هو و كأنه صنيع أحلامي، كما تخيلته حبيبي.

فليكن من يكن، فهذا ليس اختيارًا جاءني؛ بل قدرًا ناداني وأنا استجبت.

-اسمي سهر.. هل أنت جالس مع أحد؟ لا أريد مضايقتك.

-لا كنت جالس في انتظار تلك النظرة من عينيكِ، هل تعلمين أن لكِ سحر بين حاجبيكِ يفوق سحر النجوم و جمال عنقك يكاد قلبي ينطق به.. نعم أنا أغازلك و الغزل بداية

الحب لكني لا أحبك أنا أعشقك فمعجب أنا بتفاصيل ملامحك الرقيقة، بموجة شعرك الأسود.. أنا أسف.

-لا، لا تتأسف لكني فقط.. لا، أقصد أنا أيضًا لا أعلم.

وقتها كان قلبي يخفق بشدة، لم أشعر بهذا الإحساس من قبل، هذا هو الحب، نعم أحبه.. رجل أحلامي وكأني عشت تلك اللحظة من قبل ولكن هذه المرة ليست كحلم إنها حقيقة لكن كيف يعشقني هو وهو لا يعرفني!

أكنت أنا فتاة أحلامه كما كان لي صاحب الحصان الأبيض؟!

أكان يحلم بي ويتخيلني كما تخيلته منذ سنوات بنفس تلك الحسنة على صدره؟! لا يهم، الذي يهم هي تلك اللحظة.

وقف و مد يده لي فأوقفني، ومشينا و صار الزرع يحيطنا من جميع الجوانب أخذني بين ذراعيه والهواء كان جميل، كان يطير شعري على خديه، كم تمنيت أن أعيش تلك اللحظة التي عاشتها روز من قبل على سفينة تيتنك.. يلامس بيده الحنون وجهي وهو يوجهه إلى أعلى ناظرًا بعينيه إلى السماء متأملًا مبتسمًا ابتسامة عذبة.

وفجأة يحرك الهواء القميص فيكشف عن ذراعه و يكشف معه الوشم، وشم الصليب والسيد المسيح، أترك ذراعيه وأبتعد عنه خطوات قليلة.

يقترب هو مني: ما بكِ؟!.. أتذهبين الآن؟

يضع يده في جيبي و سحب المحمول مسجلًا عليه رقم هاتفه ثم يعيد المحمول.

وقبل أن يقول أي شيء جريت أنا وعدت إلى المترل. أبكي بشده، نعم حلمت به لسنوات لكن لم يكشف لي الحلم إنه ليس من ديني.. أحبه.. لكن بذلك لا نستطيع أن نكون سوى أصدقاء و أيضًا سوف تهدم أحلامي ومن سيصبح بعد ذلك صاحب الحصان الأبيض؟!

ومنذ ذلك اليوم كلما جاءني الحنين له تذكرت إنه ليس لي وتذكرت أيضًا أن معي رقم هاتفه.

قال لها

تدمع عينها وتهمس له: " قولها لي.. أرجوك لتقولها.. لقد مللت تلك السنوات.

أنتظر كل يوم عسى أن أسمعها منك، قولها وأعد لي أنفاسي المحتجزة قولها لكي أشعر بدمي المتجمد، لتكن روحي التي سلبتها الأيام وآخذ من بقايا الأيام عطر أتعطر به لعله يشفيني.

ينظر إليها غاضبًا: " يا لكِ من امرأة جشعة!.. لم يرضكِ كل هذا المال، لم يملأ عينكِ القصور والمجوهرات!

تقترب منه قليلًا تبكي بصوتٍ منخفض: لا أريد المال، لا أريد القصور والمجوهرات بل أريدُ كلمة، كلمة ينطقها فمك ترحمني تحررني عسى أن أنسى ذكرياتي معك، نعم.. لم يملأ عيني القصور والمجوهرات.. ولم يرضني المال، كنت لك خادمة كل تلك السنوات.. كنت أمًا لأطفالك، كنت لك زوجة محتقرة ولم أكن في يومٍ حبيبتك.. فليكن هناك وقفة، أوقف هذه المسرحية، فلتقل هذه الكلمة لتغير بها ترس الأيام.

وقف يضرب كفًا بكف ثم يتوجه إلى الباب خارجًا.. تقوم من الفراش تجري نحوه وتركع ممسكة بسرواله: أتوسل إليك، أسألك بالله أن تقولها.. لا تتركني هكذا، لتقولها مرة واحدة لا تكن بخيلًا، أنا على فراش الموت وبيني وبين الموت أيام قليلة فلا تبخل.

تبكي بشدة، ترتعش وتقبل حذاءه: فلتعطِ سكرات الموت مذاقًا، فلتهدني كلمة تكن لي قبرًا في أيامي الأخيرة، أعطني كلمة تكن لي كفنًا على فراش الموت.

مسك بيدها وأوقفها وأعطاها كلمة الحرية وقال لها: أنت طالق .

وذهب خارجًا.. نظرت إليه في دهشة قائلة: "طالق"!.. لم تكن هذه الكلمة التي أنتظرها منذ سنوات بل "أحبك".. أحبك هي الكلمة التي تعطيني أنفاسي، يا ليتك ظللت بخيلًا و لم تقل شيئًا لم تفهمني؟!.. أو انك بخلت أن تقولها لي؟ تمنيت عمري أن تقولها لي ولو لمرة واحدة، طيلة تلك السنوات أنتظر كلمة، آملة حالمة في سماعها. تمنيت أن أدفع عمري أجرًا ولتكن

روحي دينًا في سبيل سماعها.. "أحبك" يا لها من أمنية.

تلتقط أنفاسها الأخيرة وهي تنظر إليه من الشباك يرحل، تودعه ويا له من وداع، ثم تبتسم وتقول: "أحبك".

وتسقط جثة آملة في أمل مستحيل.

عندما تكلم الشيطان

عادت إلى البيت بعد موعدها مع حبيبها، دخلت غرفتها الوردية وأغلقت الباب وراءها.

وقفت لحظة وابتسمت.. انطلقت إلى الشباك تفتحه على مصراعيه، تتنهد وتقول: عاشقة أنا لهذا اليوم الذي ألقى فيه حبيبي، عاشقة أنا لضوء الشمس الذي يهبط على وجه حبيبي، أنا عاشقة لكل لحظة يتنفس فيها حبيبي، أتمنى أن تعيد لحظاتك أيها اليوم كي أتمتع بلقاء حبيبي.

استدارت ونظرت لحقيبتها فتذكرت الخطاب الذي أهداه حبيبها لها هذا اليوم، جرت إلى الحقيبة مسرعة وأمسكت بالخطاب.. نظرت له واحتضنته وقالت: أول خطاب يهديه لي

حبيبي منذ أن عرفته، أول خطاب يعنى أول كلمة عشق، أول خطاب يعنى أول اعتراف بالحب، أول خطاب يعنى أول شكر لي وتقدير لي على السنوات الماضية.

جلست على السرير وفتحت الخطاب وجاءت كلمات حبيبها تقول: "أرجو السماح حبيبتي، أرجو السماح لأني ذاهب بدونك إلى الإسكندرية لأقضى عيد زواجي الخامس، لا تتعجبي لأني متزوج، أنا متزوج وابنتي لديها ثلاث سنوات، أرجو السماح يا زهرة حياتي، أرجو السماح لأني سلبت براءتك، لا تقلقي حبيبتي، عندما أتذكر الحب أتذكرك أنتِ،

وعندما أتحدث عن السعادة أتحدث عنكِ أنت، ستبقين دومًا حبيبتي، لا يهم أن تكوني زوجتي.

فالمشتاق مشتاق لحبيبته لا لزوجته وسأظل مشتاق لكِ حتى النهاية ، مشتاق لجسدك، مشتاق لضحكتك، مشتاق لكَ حبيبتي، إياك أن تحسبيني خائنًا أو تحسبيني كاذبًا لكن يجب أن تحسبيني عاشقًا. عاشق لامرأتين: الأولى هي أنتِ حبيبتي، والثانية فهي زوجتي، لا تغضبي فكلما غفوت حلمت بكِ وكلما استيقظت اشتقت لكِ. لقد نسيت أن أذكر لكِ زوجتي الأولى فأنت تشبهيها كثيرًا وطالما أحببتها مثلما أحببتك، وعندما أراها أتذكرك. أرجو أن تفهميني عزيزتي، أحبك بقدر الثواني التي أمضيتها معكِ فأنت الحب وليس الزواج، أنت الحلم وليس النوم، أنت المصعد وليس المسكن، وأنت الفروع وليس الجذور فأبقِ هكذا، أبقِ الحب، الحلم، المصعد والفروع ولا تكوني لي زوجة أو تكوني النوم، المسكن أو الجذور. أبقِ ورقة شجر تزين دقائق عمري، ولا تخافي فلن تذبلي؛ و إن

ذبلتِ وسقطتِ فسأحافظ على بقاياك، وكوني لي محطة ولا تقلقي فلن أركب القطار؛ وإن ركبت فسأحاول العودة إلى المحطة ، وأتمنى أن تكوني لي مطر الصيف وحر الشتاء

ولا تعودي إلى حديقتك واقتحمي حديقتي، وكوني زهورها ولا تكوني أرضها.

عائدٌ إلى أحضان السعادة.. عائدٌ لأقضي معكِ عيد الحب، عائدٌ إليكِ حبيبتي".

سقطت الورقة من يدها بعد أن غرقت في دموعها. تبتسم وهي تمسح دموعها وتقول: أخيرًا ، اعترف حبيبي بحبه لي وقال لي حبيبتي، متى سيعود؟.. فأنا مشتاقة له، مشتاقة لسماع كلمة حبيبتي من فمه، فمتى سيعود؟.. أم أذهب أنا إليه؟



عذرًا حبيبي



أيقظني صوت بكاءه؛ فقمت من فراشي وجلست بجواره ونظرت في عينه ورأيتها تمتلئ بالدموع.

مسك يدي ونظر إليّ.. الكلمات تقف على لسانه ولكنه لم يستطيع أن يتفوه بشيء، فقلت أنا: سامحني حبيبي لأني لا أملك سوى هذه الكلمات.. هذه الكلمات التي تعبر عنك، هذه الكلمات التي ستضع نقطة لسطر كان له بداية.

ثم همَّ بالوقوف فمسكت يده بشدة وقلت: إذا كنت نادمًا أنك أحببتني فاتركني ولا تقل لي أنك نادمًا. أتركني حالمة في ماضينا.. أتركني مستيقظة في عالمنا السابق.. أتركني ولكن لا تقل

لي أنك نادم.

جلس أمامي على رقبتيه ومسح دموعه وقال: كنت أظن الحياة معك ستكون أفضل لكني لم أجد الراحة من يوم حبك، لا ألومك بل ألوم ظني.. حاولت كثيرًا لكن لم أستطع الاستمرار في حبك فأنتِ لا تتذكري أيامنا الأولى وكم كانت حلوة.

وضعت يدي على شفتيه سريعًا: لا تذكرني بالذي مضى من عمري.. أرجوك.

قال: هل تذكرين عندما قلت لكِ أنني لا أحب اللون الأصفر فقلتِ لي أنكِ لا تحبينه أيضًا لأنه لون الكره لكني قلت

حينها أكرهه لأنه لون الشمس والشمس تكون واضحة بالنهار ولا أحد لا يراها وعندما يأتي الليل تغيب.. وحبنا في الماضي كالليل والشمس غائبة أي والكره غائب، والآن أتى النهار على حبنا فأصبح واضح كالشمس فما أجمل الليل أي ما أجمل حبنا في الماضي.

قلت: نعم منذ البداية كانت اختياراتنا واحدة ولكن لم تكن يومًا تفسيراتنا واحدة أفلا تتذكر عندما قلت لك أنني أحب اللون الأزرق لأنه يرمز للصفاء فقلت أنت حينها أنه يرمز للبحر

وعندما أجبتك وما أجمل البحر! قلت: لا وما أمكر البحر! فالبحر بركان أزرق.. حينها لم أفهم كلماتك لكني الآن فهمتها فأنت كالبحر.. وكم أحب البحر ولكني لا أستطيع تحمل فيضانه.

أفلت يدي من يده وأدار ظهره وقال: كنت أعيش أوهام ولم أكن يوما...

قلت سريعا : أرجوك لا تقولها.. سأتركك، سأرحل بعيدًا لكن لا تقولها.

ذهب للفراش ونام هانئًا وجمعت أغراضي وحقائبي ورحلت ولكني قبل أن أرحل تركت له رسالة أقول فيها:

عذرًا حبيبي،

أتمنى أن تسامحني على تفكيري وظني الذي خيل لي

أنك ستحبني كما أحببتك، عذرًا حبيبي لأني تركت لخيالي الفرصة لكي يحلم، أرجوك أن تسامحني على هذه الأيام التي لم ترغب فيها أن تكون بجواري.

عذرًا حبيبي لأني لم أفهم منذ البداية أن لكل سطر نهاية وأن لكل روح ممات وأن لكل حلم حدود.. أرجو منك أن عندما

تقطع هذه الرسالة لا ترمها بالقمامة ولكن أطلق بقاياها في الهواء عسى أن تعود لي كلمة منها فأعيش بحلم لن ينقطع أبدًا وهو عودتك إلي...

عذرًا حبيبي...



عارية في الزحام



تجردت من ملابسها ودخلت لتستحم ثم سمعت صوت الباب، سحبت المنشفة وسترت بها جسدها النحيف وخرجت من الحمام فوجدته هناك فقالت له: ماذا بك يا جلال؟

لماذا عدت مبكرًا؟

صرخ مترعجًا غاضبًا: ماذا بك يَا جلال!.. ماذا بكِ أنتِ يا امرأة؟ ألا ترغبي في رؤيتي؟!.. لا تريدين أن أعود مبكرًا؟!

أمسك بها، أخرجها من الشقة ثم غلق الباب فصرخت وهي تطرق الباب: أفتح يا جلال.. أرجوك، ماذا فعلت لكل هذا؟!

تنظر خلفها وجوارها فهل يراها أحد من الجيران.

تصرخ باكية وصوتها يتقطع من شدة البكاء: أرجوك يا جلال افتح الباب.. سوف أخذ ما ألبسه فقط وأرحل.

تتمسك بالمنشفة بشدة وترتعش وتنظر لجسدها المبلل وقدميها الحافية.

-ماذا أفعل الآن؟ يا إلهي ساعدني.

وتسقط متعبة أمام الباب ودموعها تملأ وجهها...

بعد دقيقة وقفت واتجهت إلى الشقة المجاورة وطرقت الباب لكن لم يفتح أحد.

-كيف؟!.. لقد مرت تلك الجارة من خلفي منذ لحظات.

وبعد دقيقة فتحت الجارة الباب وقالت: ماذا بك؟!.. لماذا

أنت هكذا؟ أزيارة الجيران هذه الأيام أصبحت بالمنشفة!..
حافية أيضًا!

قالت وهي ترتعش: أرجوكِ، أريد أية ملابس وشيء أضعه في قدمي لأذهب إلى أمي فقد طردني زوجي.

فأدخلتها الجارة وذهبا إلى المطبخ كي يعدا الشاي.

-قولي لي لماذا طردك زوجك؟

أجابت في هدوء:لا أعرف.

قالت: عائدًا من العمل مبكرًا ثم يطرد زوجته من الشقة وهي بالمنشفة.. أتظنين أنني لا أعقل!

نظرت إليها في دهشة: ماذا تقصدين؟!.. أنا لا أعرف لماذا طردني لكنى أظنه غاضبًا قليلًا.

قالت الجارة: خذي هذه الملابس وهذا الحذاء واذهبي قبل أن يجلب السكين ويأتي إليك.

وذهبت الزوجة إلى أمها.

بدَّل ملابسه وأخذ حمامه وشرب الشاي وعندما انتهى من مشاهدة المباراة قام باتصال تليفونيّ بأم زوجته: أهلًا أمي، لم أرَ زوجتي من الصباح ولقد عدت الآن من العمل ولا أعرف أين هي؟!.. أليست عندك؟

قالت الأم : لا، ألم تقل لك إلى أين سوف تذهب اليوم؟!

وصلت الزوجة إلى شقة أمها بعد انتهاء المكالمة مباشرةً وهي تبكي وقصت على والدها ما حدث.

نهضت والدها من مقعدها غاضبة.

-ماذا تقولين؟!.. أيتها الكاذبة اللعينة منذ صغرك وأنا أشم رائحة الكذب بكِ.. اتصل زوجك الآن وقال انه لم يركِ منذ الصباح فأين كنت ولماذا تكذبين؟!

قالت مندهشة مرتعشة: أنا لا أكذب يا أمي، هذا ما حدث.

قالت الأم: اذهبي هيا إلى مترل زوجك فهو ينتظرك و توقفي عن الحماقات التي تفعلينها.

صرخت الزوجة: ماذا تقولين يا أمي؟! لقد طردني عارية خارج الشقة وأنا لم أفعل شيئًا.

أمسكت بها الأم متجها إلى الباب قائلة: إن لم تعودي الآن إلى بيت زوجك فلا أرغب أن تكوني ابنتي.

عادت الزوجة إلى شقة زوجها وأنظار الجيران لم ترحمها من الاتهامات.

فتح لها جلال وقال: أكانت رحلة جيدة؟.. أكان يوم ممتع؟.. أقسم لكِ حبيبتي بأن هذا اليوم لن تنسيه.. وأقسم لكِ أيضًا حبيبتي بأن هذا اليوم سوف يتكرر.

دخلت الزوجة المترل وتعلمت أن السؤال ممنوع والرغبة في سماع الإجابة أيضًا ممنوعة، وتعلمت كيف تصبح زوجة لزوج عظيم وتصبح ابنة لأم حنون وتصبح جارة لكل جار وتصبح إنسانة في زمن العدل كما عرفت كيف تمشي عارية في الزحام.



صنعتني الليالي

واقفان أمام بعضهما لا ينطقان.. في فم أحداهما عتاب.

بدأ الحديث قائلًا: أنت من جعلتني شيئًا.. أنت سبب وجودي هنا.. لا أعلم هل أشكرك لهذا أم أعاتبك؟!

قال: لا تعاتبني.. أنا لست سبب وجودك!.. أنا لا أعلم حقًا ماذا أتى بك إلى هنا؟!

رد الآخر: لا تعلم؟!.. لا تعلم أن قسوتك تفعل أشياءً بغيرك!.. ألا تعلم إنه يوجد من يتألم بسبب ظلمك له؟!.. ألا تعلم أن كلماتك التافهة الغاضبة تحطم كيان إنسان؟!.. لماذا تتحدث وكأنك لا تفقه شيئًا عن الموضوع ؟!

رد متسرعًا: لأني حقا أجهل ما تقول.. أتعلم أنت لست بطبيب متخصص كي تحدثني هكذا.. أكره نظرات عتابك في كل مواجهتنا بيننا، كف عن ذلك.

قال الأخر: أنت سيدي.. أنت صانعي.. لا أعلم كيف لك أن تتبرأ من فعلتك؟! كيف لك أن تستنكر من كل أخطائك؟! أنا هنا بفضلك و بفضل أعمالك أنا لست طبيبًا و ليتني معالج لكني فقط نتيجة لما فعلت.. وجودي يوضح كم أنت ظالم، وكم أجرمت.

قال باكيًا: أرجوك رفقا بي أيها السواد، أنا حقا أحبها و لم أقصد يوما أن أقسو عليها.

قال السواد الذي يسكن تحت عينيها: لقد سهرت لياليها أيام و بكت دموع لا تقدر بأنهار.. وهذا من صنع كلماتك التي كانت تخترق قلبها فتجعله حطاما من دماء.. وأفعالك الحمقاء التي تجعل ليلها لا تنام و راحتها لا تري.. أأعجبك الموضوع؟! أفهمت ماذا فعلت ؟!

قال الحبيب: أرجوك أرحل عنها الآن، سافر من وجهها وأسكن وجهًا آخرًا وأنا أعدك بأن أصبح الأفضل.

رد السواد: لم آتِ من وعود و لن أرحل بوعود، و يجب عليك أن تثبت أن هذه العين التي أمكث تحتها غالية عليك.. فالحب أفعال؛ فأفعل أنت ثم سأرحل أنا.

صمتك يقتلني



يجلس في أحد أركان مكان يجهل معالمه. يرتعش خوفًا و المكان شبه مظلم.. يسمع ضجيجًا يزلزل قلبه رعبًا فيضع يديه على أذنه عسى أن يمنعه؛ لكن يخترق الصوت يديه

يأخذ ركبتيه على وجهه بشدة هاربًا من ذلك الخوف الذي يمكث في قلبه ثم ينظرْ حوله محاولًا إيجاد أي يد بشرية تساعده فلا يجد سوى الحائط الذي يحمي ظهره و يكتشف أن المكان بلا أركان أخرى و بعدها تمطر فينظر إلى فوق فيكتشف أيضًا أن المكان بلا سقف ثم يحاول الوقوف باحثًا عن أنفاس إنسانية تنتشله من ما هو فيه فيجد شيئًا على الأرض يمسك به فيبدو له كيْد.. ينظر جيدًا بعد أن أضاء له القمر المكان قليلًا؛ فإذا هي بجثة أمه مغطاة بالدماء فيتركها صارخًا ، باكيًا ، راكضًا بعيدًا ثم يسقط و يصرخ قائلًا: أنا جائع.. أنا سأموت عطشًا.

ثم يسمع صوت يناديه ولا يعلم مصدره: أيها الطفل من أنت؟.. ماذا تفعل عندك؟

يصرخ قائلًا: أنا طفل فلسطينيّ.. أجهل اسمي و أجهل عنواني.

وتسقط قنبلة أخرى على المكان تأخذه إلى أمه.

تصرخ الأرض من تحته: أيها العالم العربيّ.. صمتك يقتلني.



صمتت الرسائل



حب، أشواق، حنين، وأحلام تتطاير في عقلي.. رسائل في طريق مجهول أهو طريق الذهاب، أم طريق العودة؟ أفراح وأحزان تطرق على الأبواب، هل أفتح أم أتجاهل ما أسمعه من طرقات؟

حروف تتخبط بين الكلمات.. جمل تتساءل عن مكانها.. هل أقول لها أم أتركها حائرة؟

أسمع أصوات تناديني وتستنجد بي، حبال تتسايل من جسدي تزحف نحو النافذة هاربة من أفكاري التي كادت أن تقتلني. ضائعة أنا في غابة تمتلئ بالأشواك والرسائل لم تصلني بعد، لماذا لم يأخذني معه؟!

سؤال يحاور أفكاري لعدة سنوات ولم أجد الإجابة حتى الآن.. الآن هي المشكلة.. ماذا أفعل الآن بعد أن رأيت تلك الأحداث؟

كان يجلس هناك على مقعده الهزاز، يمسك بقلمه، يكتب على صفحات مذكراته ثم ترك القلم من يده واتجه إلى الحمام. اتجهت أنا إلى مقعده الهزاز ومسكت المذكرات فقرأت بعيني هذه الكلمات:

"سوف أدمرك.. سوف أنتقم منك وسأقتلك و.."

وحين سمعته قادم تركت المذكرات وعدت إلى غرفتي.. وبعد لحظات ناداني، نزلت إلى الطابق السفلي فوجدت العشاء

جاهزًا وجلست بجواره ولقد مضت نصف ساعة ولم يتكلم كعادته لكن اليوم تحدثت معه.

وسألته: لماذا لا تحب الكلام؟ لماذا لا تتكلم معي؟

قال: ولِمَا الكلام؟ فالصمت هدوء للنفس، لا أحب الكلام.

سألته: لماذا لا تضيء الأنوار؟!.. لماذا لا نأكل في الضوء؟

قال: ولِمَا الضوء؟!.. فالظلام راحة للعين، لا أحب الضوء.

سألته: ما الفرق بين الماء والنار؟

فقال: لا فرق.

ثم ترك الطاولة وصعد إلى غرفته في الطابق العلوي، وعندما نام ذهبت إلى الغرفة وفتحت صندوقه وجلبت مذكراته، وأخذت عيني تتصفحها ثم قرأت: لا تحلم بأنك سوف تعيش طويلًا حين يأتي هذا اليوم سوف تنتهي.

من هذا الذي يتكلم عنه؟!.. من سيقتل؟!.. ومتى هذا اليوم؟

فجأة شعرت به ورائي وقال لي: ماذا أيقظك الآن؟

قلت: هل يوجد فرق بين اليقظة والنوم؟

قال لي: هو الفرق بين الحياة والموت.

سألته: لماذا تعشق الأسود؟

قال: ولماذا أعشق الأبيض؟

فتركت المذكرات من يدي، وضعتها في الصندوق وذهبت لغرفتي ونمت وحين استيقظت رأيته واقفا أمامي يحمل أكواب فارغة يقول: هيا، اشربي.

قلت: ماذا أشرب؟ فإن الأكواب فارغة!

قال: فلماذا تسألي عن الفرق بين اليقظة والنوم؟

ثم ذهب...

وفي يوم كان جالسًا ووقف فجأة ومسك بالكبريت وقال: فقد قلت لك أن ذلك اليوم سوف يأتي وسوف تنتهي وذلك اليوم قد أتى وسأقتلك.

وأمسك بالكبريت وأحرق نفسه... فنظرت له وقلت: أنت أخطأت عندما قلت أن لا فرق بين الماء والنار وعلمت الآن من كان ذلك الشخص الذي أراد قتله وعلمت هذا اليوم ولكني لم أعرف حتى الآن وبعد مرور سنوات ما الفرق بين اليقظة والنوم.. أنا لم أحزن كثيرًا فحرقت نفسك أفضل من أن تحرق شخص آخر وعرفت لماذا تعشق الأسود وليس الأبيض؛ لأن الأبيض يمكن أن يصبح أسود لكن الأسود لا يمكن أن يصبح أبيض.

شبه مخلوع

يحاول تسلق أعلى صخرة بالمكان و هو يشعر باهتزاز الأرض من تحته بين صوت الطلقات اللاتي أحدهن قتلت أخوه الرضيع.

يحاول الثبات على الصخرة باستمداد قوته من صرخات أمه.. بعَد نجاحه في الوقوف يبدأ بالكلام فيبدو له كآخر كلامه. بأعلى صوت له يبدأ حديثه: أيها الرئيس أنت لست رئيسي فأنت لست من موطني ولست من ديني، أيها الحاكم بأمر من ذاتك فإن الشعب يطردك من بلاده الحرة.. هذه ليست غابتك يا أسد هذه أرضي سوريا الغالية، يا مالك ملك ليس لك فيه نصيب، يا أمر شعب لا يريد منك حديث، يا من فجرت الجامع و أغلقت الكنائس قل لأباك أنا ابنك بشار قتلت و عذبت و في السجون أسرت.. مثلك أنا يا أبي، ففخرًا لعائلتي أتيت.. لا دين لي أنا ولا طن أحببت.

أيها الرئيس المخلوع باسم بلادي أنا حكمت عليك بالإعدام، لم يصبح الرحيل هو مطلبي ولا الإصلاح يكفيني بل الإعدام شنقًا هو الحل.

فاوض باسم الشعب و سافر بطائرة الحكم فأنت لست رئيسي بعد الآن والشكر والتقدير لبلاد اعترفت بك كإنسان فأنا لا أنتمي لعالم مازال يعترف بك رئيسًا.. أنا سوري عربي من شعب طردك من وظيفتك، وأغلق مكتبك، وأحرق كل

سجلاتك؛ فأنا من عالم لا يقبل بتطوعك للرئاسة أيها المخلوع.

قبل أن ينتهي من الكلام شعر بالحديد حول يديه ليكون من المعتقلين و ينتهي به الطريق إلى عاصمة الشهداء.

سوق الرجال

الويل لي فقد أوقعت الذهب من يدي حين كنت أتسوق في سوق الرجال.. فكيف لي الآن أن أشتري رجلًا!

فكنت ماشية أتلفّت يميني ويساري.. أرى أنواع كثيرة من الرجال.. منهم من يضحك، ومنهم من يثور، ومنهم من يحب الوقوف، ومنهم من يحب الجلوس.

والنساء كثيرة تشاهد بدقة وانجذاب منهن من تشتري أبًا ومنهن من تشتري أخًا ومنهن أيضًا من تشتري زوجًا.

ورأيت امرأة لا تقدر على المشي فكان الذهب يتساقط منها من ثقل وزنه فتعجبت فمن الواضح أنها تريد شراء عائلة بأكملها من الرجال! وعندما تعمقت أكثر في الزحام رأيت رجلًا ضخم الجثة يداه تكاد تنفجر من شدة ضخامتها وعينيه واسعة تشتعل فيها النار تحلق بها على النساء وفجأة أوقع نظراته علي فأوقع في نفسي الخوف.

وكانت المسافة بينه وبيني أمتارًا فكنت أخاف الاقتراب فقال لي بصوت لم أسمع مثله قط.. صوت زلزل قلبي فامتزجت شراييني ببعض، وأوقف دمي فكان صوت يملئه العنف والقسوة ويملئه أيضًا الغرور والكبرياء: ألا تريدين أن تقطفي رجلًا من حديقة الرجال؟ أو لم يبقَ معكِ الذهب الكافي لشراء العم أو الخال؟

فقلت له بصوت يرتجف: من أين ينبغي على النساء بجلب ذلك الذهب؟

فقال في دهشة: العمل؛ فالنساء تعمل لجلب الذهب فتستطيع حينها شراء الرجال.

فسألت: والرجال؟

فقال: ألست من هذا العالم؟.. فالرجل يكتفي بأنه رجل أم تريدين منه أن يعمل أم تريدين أن تقدر المرأة مثلنا بالذهب؟!

فقلت: ولماذا لا؟

فقال: أتمزحين؟!.. فهذا قانون العالم ويجب أن تتبعه النساء لتبقى على قيد الحياة.

ثم أشار إلى أربعة رجال معه وقال: إنها تعترض فخذوها إلى السجن.

وهناك أخذوني إلى القاضي وقال: ليس من حق النساء الاعتراض فسوف نعاقبك وعقابك هو الموت رميًا من الطائرة.

فأخذوني وسلسلوا قدميَّ ويديَّ وذهبوا بي زحفًا إلى الطائرة وأخذ الطيار يحلق بنا بعيدًا إلى أعلى ثم ألقى بي أحدهم من الطائرة فوقعت ووقعت.. حتى صدمت بالأرض جانب أسرير؛ فاستيقظت من نومي فيا له من حلم!.. فكم سيطرت أفكاري على أحلامي.. وكم تمنيت أن أكون رجلا لكي أجد من يشتريني بالذهب.

ستعود



تخرج من منزلها وهي تبكي متألمة خائفة، تركب سيارتها وهي لا تعلم إلى أين تقودها.. تتوقف عنده.. تمهلت قليلا ثم خرجت من السيارة مسرعة، تفتح باب المكان راكضة نحوه و تركع فجأة على ركبتيها.. تصدر آهاتها متقطعة و تنظر إليه قائلة: عدني ألا أخف.. عدني أن تحتضنني برفق.. أرجوك عدني بذلك.. قل لي الآن إنك ستنير لي الأيام حتى إن كانت مظلمة.. عدني أنا أنام كل ليلة وأنا لا أشعر بألم.

تدور عينيها قليلًا في المكان ثم تعاود ناظريها عليه: ماذا.. لماذا لا تقل لي الآن إنك ستفتح يدك لي و تأخذني بين أحضانك وتكون لي سكني و جنتي؟! عدني أن تفرش لي الأرض ورودا كل يوم.. عدني ألا أشعر بالوحدة.. تكلم أرجوك قل شيئًا.

قال بهدوء: ليس بيدي وليس بأمري.. فالشأن شأنك وأنتِ التي تصنعين بيدكِ وجودك بين ضلوعي.

-ماذا تقول.. كفى.. لكني أعلم كل هذا جيدًا.. أنا لست أكرهك وأيضًا لست خائفة منك، أنا أخاف حالي؛ وحيدة فقط أنا وأنت هنا.

قال لها: هيا.. هيا قفي واذهبي من هنا الآن وسوف تعودي فيما بعد وافعلي ما تريدين فعله ولكن تذكري أنتِ التي

ستزرعين جنتك بين عروقي أو ستثيرين ناري وتحترقين بها كل ليلة.

تمسح دموعها قائلة: فهمتك لكني مازلت آملة راغبة في أن تعدني بأنك ستحتويني جيدًا وأن تكتم أسراري وألا تخبر أحد بما يحدث هنا.

تنتظر أن تسمع منه شيئًا لكنه لم يرد، تنظر إليه بحزن شديد وتحاول الوقوف وهي تمسح بيدها ما على ملابسها من طين.

تدر له ظهرها و تخطي خطواتها الرقيقة مبتعدةً عنه. تقف وتستدير نحوه نصف استدارة، تنظر له نظرة خجلة و تقول:أعلم أنك يومًا ستصبح بيتي ومسكني وسيصبح هنا أرضي وموطني وسيأتي الليل الذي ستكون لي أنت فيه مركبي تأخذني إلى حياة عادلة وتكون لي أنت لمن له أنتمي ويكتب على صدرك اسمي ومولدي وأعرف بداخلك مصيري وسر الكتاب و ستصبح في وقتًا أغلى من أهلي عليّ.. وبلا وعد منك أوعدك أنا أنهم جميعًا سيأتون إليك وإن كنت أتمنى أن يكون لي حق عليك سأطلب منك أن ترفق بوالدي حتى آتي أنا إليك.

تعود تخطي خطواتها بين القبور تاركة وراءها قبر والدها، تغلق باب المكان وتركب سيارتها عائدة إلى حياتها الطبيعية.

ستة دقائق

باقي من الوقت ستة دقائق.. المكان مظلم يقف بأحد أركان الحجرة الصغيرة. يضع يداه على الحائط. يبكي ولأول مرة في حياته. يسقط تعبًا وينظر لبدلته الحمراء فيتذكر: جمال يمحيك من كتاب حياتك، يأخذك لجسد يفتنك بأنوثته، لعالم عينيها السجينتين بين جفون وجه كوجه الليل تملئه النجوم، جمال يطويك طيًا ويرميك لبحر امرأة يسكنه ضحكات طفل بريء وحسن يوقع بك إلى بئر من ورود تأتي هي وتشمه كفراشة بيضاء.

يقترب من هذه الفتاة ويقول: ليلى هل لديك وقت؟.. أريد أن أتحدث معكِ قليلًا.

قالت: حسنا.

تردد بعض الوقت ثم قال في خجل: أتقبلي أن تتزوجي بي؟

صمتت لعدة دقائق وهمست بسعادة بالغة: بالطبع.

بعد شهرين: أنا سعيد حقًا حبيبتي فبقى يومين فقط على زواجنا.

قالت: لدي شيء لأخبرك به.. أنه سر لم أقوله لك أبدًا.

قال في دهشة: ماذا؟ لقد أخفتني.

قالت ليلى: قبل أن أعرفك كانت هناك علاقة بيني وبين سعيد زميلنا في العمل و لم تكن علاقة صداقة أو حب فقط بل كانت.

صمت ثم خرج من السيارة وأخرجها بقوة ومسك بها وقال: لقد أحببتك كثيرًا وحان الوقت كي أقتل هذا الحب.

وقذف بها من أعلى الجبل.. وماتت ليلى.

انتهى الوقت وفتح الباب.. ممسكين به متوجهين إلى غرفة الإعدام.. قد فقد القدرة على الحركة وقبل أن يفقد القدرة على الكلام قال باكيًا: لقد قتلتكِ يا ليلى وقتلت نفسي ولكن لم أقتل هذا الحب.

رفعت الجلسة



بعد أن ذهب الجميع، بعد أن رحل الزحام من المترل وقفت له وقالت: لقد رفعت الجلسة أيها الرجل، لقد انتهى عصرك وبدأ عصري، بعدما كنت أنت الحاكم وأنت القاضي فها أنا أقولها لك لقد رفعت الجلسة، لقد نسيت أيها الحاكم أن لتلك المحكمة خادم ومعه مفتاح المحكمة وحان وقت الخادم ليغلق المحكمة، ليغلق قاعة الحكم ويرحل؛ فكن الآن حاكم في محكمة بلا خادم، فكن القاضي بلا شهود وها أنا أغلق عليك باب المحكمة لتقل لي أيها الرجل أين أنا من عالمك؟.. أين أنا من حاضرك وماضيك؟.. لقد مللت ارتدائي البدلة الزرقاء فلتلبسني يوما سترة المحاماة لأدافع عن نفسي أمامك أيها القاضي.. لتحكم علي أيها الحاكم بالإعدام أهون علي من ذلك القفص، من تلك البدلة الزرقاء، أهون علي أن أنتظر طيلة الجلسة لأسمع أوامرك لكن لن أتيح لك الفرصة لأنني أقول لك لقد رفعت الجلسة. لقد تعلمت من تلك الجلسة الكثير فمن حق الخادم أن يتعلم.. لقد تعلمت أنني بك ضعيفة ومن دونك قوية فيا لها من مجنونة إن وافقت رجل يوم.. فأستيقظ أيها

الرجل، أيها الحاكم الظالم.. أيها القاضي المستبد.. أريني ماذا ستفعل الآن؟.. ماذا ستفعل بمحكمة ليس بها جاني، ليس بها خادم.. كنت تستمد غرورك مني والآن أريني من أين ستأتي به؟ أقولها لك أيها الحاكم من الآن لا أنتظر منك

قضاءً.. لا أنتظر حكمك عليّ ولا أخاف يومًا أن تتركني أيها الرجل.. لا أخاف أن تهجرني أو تنساني.. من هذه اللحظة أتخلى عن دوري كعبدة، أتخلى عن دوري كمجني عليها.. فكن أيها الحاكم لكن بعيدًا عني، كن حاكم ظالم بمحكمة لست أنا بها، كن قاضيًا مستبدَ لجناه لست أنا منهم، لتكن رجلًا كباقي الرجال؛ ولأصبح أنا امرأة لكن ليست ككل النساء. فأستيقظ أيها الرجل لقد رفعت الجلسة.

ذات الأهمية



تجري بعيدًا نحو الشارع، لا تهتم بأي شيءٍ حولها، نزلت الرصيف متجهةً سريعًا لطريق السيارات.. ينظُر إليها الطفل ويصرخ بشدة.. ثم تمسك يده سيدة ترتدي معطف أسود، تمسك يده بشدة وتقول له: هيا.. هيا لنذهب.

ومازالت هي مستمرة فِي الجري، لا تهتم بأنظار الناس لها. يحاول بعض المارة أن يوقفوها لكن لم يستطيعوا.. والسيارات تسير على الطريق بأقوى سرعتها لا تلتفت إليها.

يصرخ الطفل ثانيةً بشدة وينظر إليها في عتاب وصرخاته تنادى عليها وعينيه تقول لماذا تركتيني؟ عودي إلي..عودي إليّ.

تشد السيدة ذات المعطف الطفل إلى الأمام وتقول له بعنف: قلت لك امشِ معي.. أقسم بالله أنني سأريك أيام لم تراها مسبقًا.

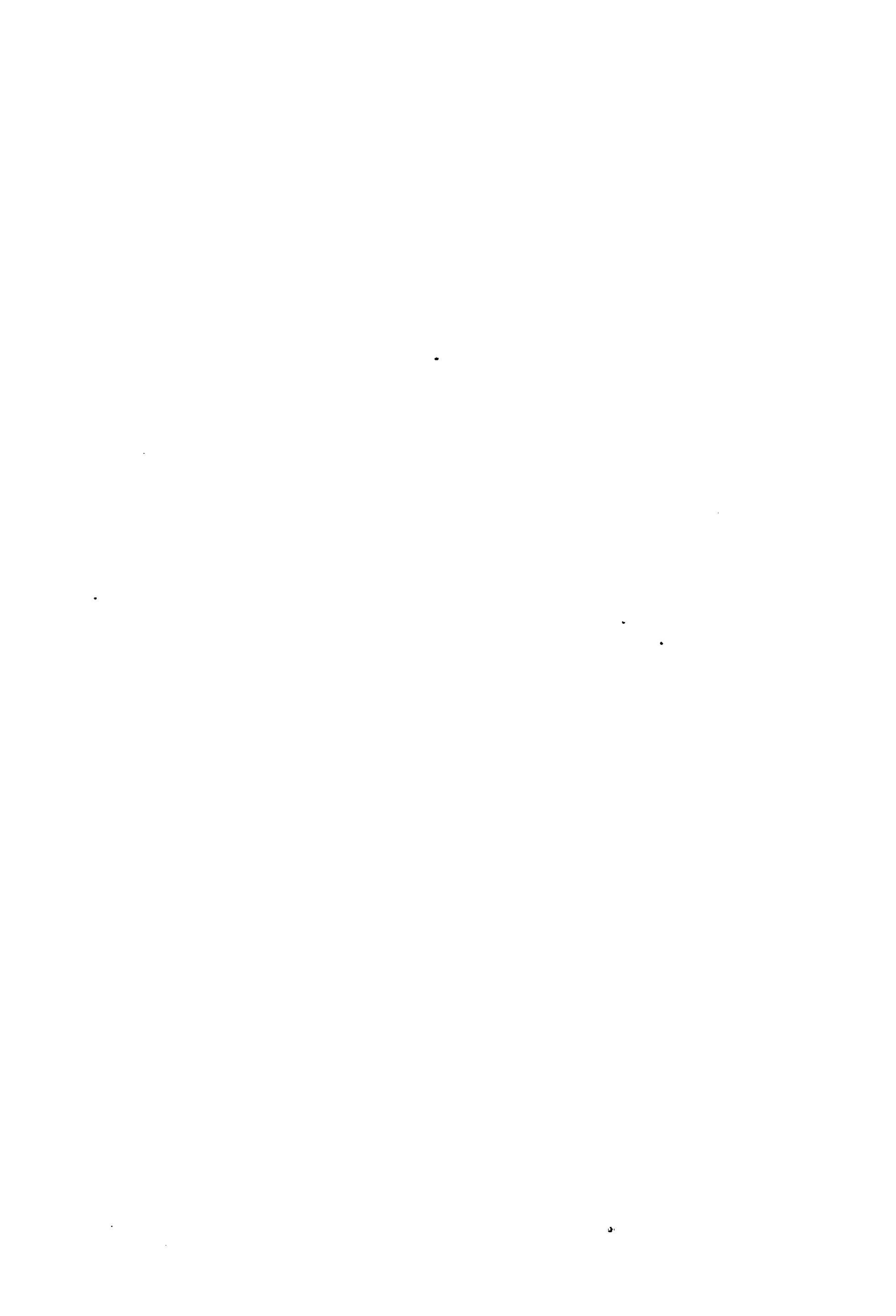
ينظر إليها الطفل باكيًا ويجلس أرضًا رافضًا الذهاب معها.. توقفه السيدة من يديه ثم تصفعه على وجهه صفعة مؤلمة تجعله يتوقف عن البكاء لبضع ثوانٍ ثم يعاودان السير.

ينظر الطفل إلى الخلف فيفاجئ بسيارة تكاد أن تدهسها فيفلت يد أمه سريعًا ويصرخ: كرتي.. كرتي.

يجري نحو الشارع.. نحو كرته، تصرخ أمه: لا.. لا.. ابني.. ابني.

تصل الكرة إلى الرصيف الأخر وتصدم السيارة الطفل..
يسقط الطفل الدموع تملئ وجهه والدماء تغطي صدره ناظرًا
إلى كرته معاتبًا مبتسمًا ثم يغلق عينيه.

خارج نطاق الخدمة



اتصلت به كي أتفقد حالته لا بل لأسمع كلمة في عيد ميلادي ها هو يرن ثم فتح الخط، صمت قليلًا ثم قلت: السلام عليكم.

أجاب: من معي؟

ترددت بعض الشيء ثم تفوهت: نعم أبي، هذا أنا.

صمت لبعض الوقت وقال: أهلًا ابنتي.. ماذا؟ هل حدث شيء؟!

يا لدهاء هذا الرجل!.. يظن بأنه أذكى مني!.. يظن أنني نسيت عيد ميلادي وهو الذي سيفاجئني.. حسنًا.

فقلت: لا.. كيف حالك؟!

أجاب: أنا بخير، ماذا عنك؟

هل سيقول لي الآن أم سينتظر حتى يطمئن علي؟.. أم يريد مفاجئتي!

أريد أن أعرف ماذا يخبئ تحت لسانه.. وكيف سيقولها.

ثم قال متسرعًا: حسنًا حبيبتي أنتِ بخير إذًا ، سأكلمك لاحقًا.

وأغلق الخط...

حسنًا.. كان مشغولًا في أعماله.. أو كان مشغول في حفل عيد ميلادي.. لماذا لم يقولها لي؟ هل نسي؟.. لا.. لا يستطيع أن ينسى هذا اليوم. لم ينتظر حتى ليطمئن عليّ.. فأنا لم أجبه بعد بالتأكيد سيكلمني بعد قليل.

جلست جانب الهاتف.. أترقب.. أنتظر.. متى سيتكلم؟
تأخر الوقت وهو لم يتصل بعد.. تذكرت أخيرًا فهو بالتأكيد نسى أن يسجل رقم هاتفي الجديد.
اتصلت به ولم يرد.. وبعد عدة محاولات أجاب: نعم ابنتي.
صمت فلا أعرف ماذا أقول.. إلى متى سيخبئ المفاجئة؟!
فقلت له: ألا تحب أن نتنزه قليلًا اليوم.. أنا وأنت؟
قال: تريدين أن تتنزهي؟.. لكن أنا مشغول في عملي.. حسنًا سأنهي عملي سريعًا وأمر عليكِ لكي نتنزه.
يا لمكر أبي، يريد أن يفاجئني ويود أن يتظاهر بأنه لا يعلم أن اليوم عيد ميلادي.
انتظرت حتى أتى موعده.. انتظرت الكثير لكنه لم يأتِ.. أنا لا أحب المفاجئات فلماذا يفعل بي هذا؟!.. هل نسي المفاجئة أم نسي الموعد أم نسي عيد ميلادي؟
أصبحنا في منتصف الليل؛ فإذا ضاع أملي ولن يأتي أبي.
اتصلت به فأجاب: لدي أعمال كثيرة اليوم ولم أكن أستطيع أن آتي.
قلت له: أبي كان اليوم عيد ميلادي.. وأغلقت الخط.
ويا ليت المحمول كان خارج نطاق الخدمة ولكن اكتشفت أنه أبي الذي كان خارج نطاق الخدمة.

حينها صرخ



حينها صرخ: لماذا ؟.. لماذا؟.. لماذا يا أمي؟!

استيقظ باكرًا على صوت حنون:هيا يا ابني، هيا يا حبيبي استيقظ الفطور جاهز.

جلس على طاولة الطعام: أمي سأتأخر اليوم بعد الجامعة سوف أخرج قليلًا مع أصدقائي.

تنظر له بحزن: سأتناول غدائي وحدي مجددًا، منذ أن سافر أباك وأنا أجلس بمفردي دائمًا.

ركع على ركبتيه: اعذريني أمي.. اليوم فقط، أعدك أن نتناول الغذاء كل يوم سويًا لكن اسمحي لي اليوم فقط.

تلمس رأسه برقة شديدة: بالطبع حبيبي أخرج وتمتع وأنا سوف أكون بخير.. هيا أكمل فطورك.

يهتز البيت بشدة.. "زلزال.. زلزال"...

البيت يتساقط شيئًا فشيئًا.. يتجول في البيت، يوجد شيء غريب، ليس مجرد زلزال ربما يبحث عن شيء لا يعلم ما هو.

يستيقظ فجأة: يا أستاذ ستترل هنا.

-نعم.. نعم.. كم تريد؟

يترل من التاكسي: كم هو كابوس مزعج.

ينتهي من يومه الجامعي.. يجري اتصالًا: أمي.. أنتي بخير؟

-نعم حبيبي.. تناولت غذائي وسوف أنام حتى تأتي حسنًا؟

-حسنا أمي وسأحضر لكِ مفاجئة.

-أعتني بنفسك عزيزي.

أغلق الخط يضحك مع أصدقاءه ويقول أظن أن أمي ستسعد لأني حصلت على شهادة الطالب المثالي.

بعد ساعة من الوقت.

-سأذهب الآن يا أصدقائي لا أرغب التأخر على أمي.

صعد سلم البيت يفتح الباب: أمي.. أين أنتِ؟

يفتح غرفتها ببطء.

جسدان عاريان.. صوت القبلات يتعالى.. حينها صرخ.

حسن وأنا



قلب ليس كجميع القلوب، جميع القلوب لونها أحمر والدم الأحمر ينبعث منها ويغمر الجسد بأكمله لكن قلبه لم يكن لونه أحمر بل كان أخضر، رأيته.. نعم رأيت قلبه عندما فتح يديه فرأيت الزرع والأشجار وهي تغطى قلبه الأخضر وتنبعث منها الورود، ثم رأيت عروقه فلم تكن كأي عروق بل كانت غصون محفورًا عليها اسمي.. اسمي أنا.

حسن وأنا لم نعرف بعضنا في الماضي ولم نعرف بعضنا أيضًا في الحاضر ولا أعلم إذا كنا سنلتقي في المستقبل أم لا. رغم أنه يعيش معي.. لا.. إنه يعيش بداخلي ونتنفس هواءً واحدًا.. أجلس معه فيدخلني في عالمه.. أفكاره وأحلامه. يبعدني عن حياتي.. أشعر بأني أحتاج إليه.. أحتاج أن أكون هو وليس أنا.. أغوص في أحضان عالمه.. أطير في فضاء

أفكاره، أختبئ بجدران أحلامه وأنصت، أنصت له فيعجبني حديثه أحيانًا لكن.. لم أتمكن يومًا من معرفته جيدًا. أتمنى أن نلتقي أنا وهو في نقطة من نقاط المستقبل.

عندما أبكي يتحدث معي فيهدئني قليلًا لكن عندما أضحك يخشى على إيقاف الضحك.

فلماذا؟ فلا ضحك ولا دموع.. فلماذا؟ أيحبني أم يكرهني؟ أهو أنا أم أنا هو؟ فكيف لي أن أعرف؟

فكيف ونحن نعيش حياة واحدة، نفعل نفس الأفعال.. ننظر نفس المناظير ونأكل نفس الطعام.. نختلف إلى هذا الحد في الأفكار؟.. فكلانا عشنا نفس الماضي ونعيش نفس الحاضر لكن كل منا ينتظر مستقبل مختلف عن الآخر.

ولن أنتظر المستقبل بهذه الطريقة.. يجب أن يموت أحد منا من سوف يسيطر على الآخر؟!.. هل سأنتظر أن ينتصر علي ويصبح عالمه عالمي؟

فجأة سمعت صوت أمي: حسن.. أين أنت؟

سرت نحوها: ماذا؟

قالت: ماذا بك؟ أين كنت؟ ناديت منذ فترة و لم ترد.

قلت: كنت جالسًا، أفكر قليلًا ليس إلا.

أي "حسن" سوف يبقى وأي "حسن" سوف يموت؟ أم سأنتظر المستقبل يقرر؟

إلى متى سوف يظل هذا الصراع الداخليّ؟ إلى متى سوف أتكلم مع أفكاري المتعارضة؟ لكن هذا أفضل لي ولكل إنسان لكي يهرب من نفسه ويدخل عالم آخر ويلتقي الإنسان بآخر يتحدث معه.. لكن أتمنى أن أعرف من أنا.. أأنا حسن أم أنا هو؟

ومن الواضح أنني سوف أبقى حسن و أنا.

بساط بلا خيوط



أيقظني صوت الباب المزعج.. من سيأتي في ذلك الوقت المتأخر من الليل؟!

فنهضت واتجهت نحو الباب، وأنا في طريقي إلى الباب رأيت شخصًا جالسًا يشاهد التلفاز.. شخصًا لا أعرفه يجلس في بيتي وعلى مقعدي ويشاهد التلفاز!

فقلت له: من أنت وماذا تريد؟.. وكيف دخلت إلى هنا؟!

فقام ومشى بضع خطوات نحوي وقال في هدوء: اذهب وافتح الباب.

فشعرت بالخوف الشديد وذهبت لكي أفتح الباب وجلس هذا الشخص على المقعد وأنا في طريقي إلى الباب أخذت سكينًا معي ثم فتحت الباب وفوجئت، فالرجل الذي أمامي يشبه الشخص الذي في الداخل.. لا بل لا يوجد فرقًا بينهما.

فصدمت ووقعت السكين من يدي، ودخل وقال لي: أغلق الباب من فضلك.

فأغلقت الباب وعندما عدت لم أجد الرجل الآخر الذي كان

يجلس على المقعد ويشاهد التلفاز ثم أضيء نور المطبخ وسمعت أصوات به فنظرت إلى المطبخ فقال لي هذا الشخص الغريب الذي يشبه الرجل الآخر: ليس لك شأنًا بأختي.

ثم خرجت من المطبخ سيدة تشبه الشخصين الغريبين لكن شعرها طويل وتحمل أكوابًا من الشاي وجاءت ووضعت الأكواب وجلست بجوار هذا الشخص يشاهدون التلفاز؛ فتركتهما وخرجت من المترل واتجهت إلى قسم الشرطة وأبلغت عن هؤلاء الأشخاص المحتلون لبيتي.

وعندما جاءت الشرطة لم نجد هؤلاء الأشخاص ولم نجد أي شيئًا مسروقًا حتى أني لم أجد أكواب الشاي!

وذهبت الشرطة وجلست في البيت وحدي أفكر فيما جرى ومن هؤلاء الأشخاص وماذا كانوا يريدون؟! أم كنت أحلم أو أتخيل!

وفى اليوم التالي بعد أن انتهيت من عملي ورجعت إلى المترل وذهبت للنوم.

فجأة أيقظني صوت غريب وهو يقول لي: لماذا فعلت ذلك؟ هل فعلنا شيئًا لك؟ هل أزعجناك؟

فقلت له: ماذا تريدون مني؟ من أنتم؟

ثم رحل هذا الصوت، فنهضت وخرجت من الغرفة فوجدت خمس أشخاص يشبهون بعضهم.. لا بل لا يوجد فرق بين الخمسة وسيدة شعرها طويل وتشبههم هي الأخرى.. جالسون يشاهدون التلفاز.

فتعجبت ، فمن هؤلاء فلا يريدون السرقة ولا يريدون إيذائي فماذا يريدون؟!.. ومن أين أتوا و كيف دخلوا إلى بيتي؟!

ذهبت إلى قسم الشرطة مرة ثانية، وأبلغتهم وجاءوا إلى البيت و لم يجدوا أحد و أدفعوني غرامة.

وفي اليوم الثالث بعد عودتي من العمل لم أذهب للنوم وظللت مستيقظًا وفجأة أتى لي هذا الشخص الغريب و لم أعرف من أين أتى، فسألته وأنا أرتجف: من أنتم؟.. وماذا تريدون مني؟!.. أرجوك قل لي.

فقال لي: لماذا تسأل العديد من الأسئلة؟!

ثم وجدت السيدة تحمل أكوابًا من الشاي ومعها الأشخاص الغرباء اللذين يشبهون بعضهم ثم جلسوا وقال لي هذا الشخص الغريب: نحن نريد أن نشاهد التلفاز فقط ولا نريد شيئًا آخرًا.

وجلسوا حتى الصباح يشاهدون التلفاز ثم رحلوا، ولم أعرف أيضًا كيف رحلوا!

وفي اليوم الرابع، وفي اليوم الخامس.. ومرت الأيام هكذا وهم يأتون في المساء يشاهدون التلفاز ويرحلون في الصباح، وأنا لا أعرف من أين يأتون أو كيف يرحلون ولا أعرف

أيضًا من يكونون لكني أعرف ماذا يريدون.. يريدون مشاهدة التلفاز وفقط، فلا يهم من يكونون فهم لا يؤذون ولا يزعجون. فأنا سوف أنام وهم يشاهدون التلفاز ويشربون الشاي.

أموات فوق الأنقاض

كل يوم في نفس ذلك الوقت تلبس ثوبها الأحمر، تضع المساحيق على وجهها وتلبس حذاءها الأحمر العالي وتنصرف.. بعد ساعة من الزمن تعود إلي المترل حاملة

وردة حمراء ولقد ذابت المساحيق من على وجهها تذهب إلى غرفتها وتسترخي غلى سريرها بثوبها الأحمر وحذاءها الأحمر ثم تغرق في النوم حاملة وردتها الحمراء.

يأتي الصباح، أخاف أن أسألها إلى أين تذهب ولماذا؟.. وقد كانت الأفكار تدمرني كل يوم لكن لا أعلم ماذا أفعل!

تتكلم معي كثيرًا ثم تذهب إلى العمل لكنها لم تقل لي يومًا إلى أين تذهب في الليل.

وفى يوم نظرت لي وقالت: ماذا يعنى لك اللون الأحمر؟

فقلت: لون من الألوان مثل الأخضر و...

ثم سألتها: وماذا يعنى لك أنت؟

قالت وهى تتنهد: يعنى الفستان الأحمر.. الحذاء الأحمر والوردة الحمراء، الأحمر حياة بالنسبة لي فالحياة باللون الأحمر مختلفة.

سألتني بعد ذلك: في ظنك إلى ماذا يرمز الأحمر؟

قلت: إلى الدماء والموت، أو إلى الحقد والنار.

قالت: ولماذا لم تقولي لي إلى النشاط، أو إلى الغيرة، أو إلى القلب والحب؟

وفى ليلة نويت أن أعلم إلى أين تذهب وعندما انصرفت، انطلقت وراءها ، فظلت تمشي حتى وصلت إلى مطعم دخلت وجلست وبعد لحظات أخذت تبكي وتبكي حتى أزالت الدموع

المساحيق ثم خرجت من المطعم وذهبت إلى بائع الورود واشترت الوردة الحمراء.

وعدت أنا سريعًا إلى المترل وسألت نفسي من كانت تنتظر في ذلك المطعم؟!.. ولماذا لم يأتِ؟!.. فيجب أن أعلم...

وفى ليلة أخرى ذهبت وراءها ورأيت ذلك المشهد يتكرر مرة أخرى، ظللت أنطلق وراءها عدة ليالٍ لكن لا أرى سوى هذا المشهد الذي يتكرر كل ليلة.

وفي يوم ذهبت إلى ذلك المطعم وسألتهم فقالوا لي: لا نعرف عن ماذا تتحدثين.. فلا نعرف عن أي سيدة تتحدثين.

فتركتهم.. عدت إلى المترل وتشجعت وسألتها: إلى أين تذهبين كل ليلة؟

قالت في هدوء: أذهب لكي أتعشى.

قلت: بمفردك؟

قالت: بالطبع لا.. ألا تعلمين أن زوجي يصطحبني كل يوم إلى المطعم ونتعشى سويًا ثم يجلب لي وردة حمراء.. فكم هو لطيف!

قلت: هذا كان منذ سنوات وزوجك فُقد في الحرب.

قالت: هل تظنين أنني لا أعلم فأنت التي لا تعلمين.

قلت: لا أعلم ماذا.. فأنا أعلم أن زوجك قد فقد.

قالت: أنا أعلم أنه توفي لكن أنت لا تعلمين أنني أيضًا توفيت!.. فقد كان هو أنفاسي.. وأنفاسي دفنت تحت الأنقاض، فكيف لي أن أعيش بدون أنفاسي.

ففهمت الآن ماذا يحدث لكني يجب أن أفعل شيئًا من أجلها فالفستان الأحمر والحذاء الأحمر هما اللذين يذكروها به.

في يوم عندما ذهبت للعمل جئت بالفستان الأحمر، بالحذاء الأحمر، وبالمساحيق.. وقذفت بهم بعيدًا.. بعيدًا عن حياها وأفكارها.

وعندما جاءت وحل الليل، جاءت إليّ وقالت: لماذا؟!.. كان يحب اللون الأحمر كثيرًا.. فلماذا؟!.. فأنت أسأتِ الفهم فإن اللون الأحمر ليس الدماء أو الموت بل هو القلب عندما يحب فأنت أنهيتِ حياتي عندما أنهيتِ عليه فقد قلت لكِ أن الأحمر بالنسبة لي حياة.

وعادت إلى غرفتها لكنها لم تنصرف ككل ليلة؛ فهكذا أفضل عندما دفنت اللون الأحمر دفنت معه ذكرياها.

ومرت ساعة وذهبت لغرفتها كي أطمئن عليها وعندما فتحت الباب رأيتها تمزق يدها بالسكين وتكتب بدمائها على الحائط:

"أحبك مثلما أحب اللون الأحمر".

جنت سيدة اللون الأحمر ودخلت المصحة النفسيَّة وأنا السبب، يا ليتني لم أقتل الأحمر فقد قتلتها معه.

وظللت أزورها في المصحة.. وفي يوم قالت لي: لا تظني أن عقلي قد ذهب مني.. فأنا هنا في أكمل راحة بعيدة عن ذلك العالم.. أشخاص لا يعقلون ما يقولون أو يفعلون، فهم لا يشعرون مثلك يفكرون بالدماء والموت فقط، أنا هنا أعيش مع ثوبي الأحمر، حذائي الأحمر، مساحيقي، وردتي الحمراء، وحبيبي، واللون الأحمر الذي دفنته.

إليك أيها المنتظر



ها هو أتى الآن لكنى لن أهرب ككل يوم ، ككل ميعاد ولن أدعه يرحل بدون مواجهة فوقفت له وقلت: ماذا تظن نفسك فاعلًا بي؟ هل تظن أنك تخيفني؟!.. لن أخاف فإنك سترحل بعد لحظات وما أصعب لحظاتك!.. فلا تمر كأي لحظات.. ويا لرؤيتك!.. هي حقًا تخيفني تملأ قلبي بكآبة، تملأ عيني دموع وأحزان. يا ليتني أستطيع أن أطوي مواعيدك من حياتي؛ لكن إلى متى سأختبئ منك؟!.. فقل لي لماذا تفعل بي هذا؟!.. لماذا بك أرى الدنيا ظلامًا؟! لماذا أتذكر كل ما هو سيء عندما أراك؟!.. عندما تأتي لا أشعر بالأمان وأود الاختباء منك كأنك

ستقتلني؟!...

يقولون عنك أقاويل ويتحدثون عنك بأشياء لا أعرفها عنك ينتظرونك لكي تأتي فيشعرون بما لم أشعر به يوم...

يا ليتنى أرى ما يرون وأشعر بما يشعرون عسى أن ترحل رهبتي منك.

وككل ميعاد سيرحل بدون أن ينطق.. ولكن قبل أن يرحل أود أن أقول له شيئا أخيرًا: أيها الغروب لا أملك كلامًا يصف إحساسي ولا أملك همسًا يصف مدى وحدتي في لقائك، لماذا لا يشعر الناس بما أشعر؟!.. الوحدة، الغربة، البكاء... كل هذا أشعر به في لحظاتك المعدودة. أدعو الله أن يزيل هذا الخوف

من مواجهتك وهذا الشعور الذي أراه في مرآتي أشعر به متربعًا في قلبي. متحركًا في عروقي.

وها هو يرحل الآن ولكن ليس ككل رحيل؛ فلأول مرة أواجهه ولأول مرة أتحدث معه ولكن لا أعلم ماذا سيحدث غدًا وبماذا سأشعر؟.. فيا ليتني أفهم أنه ليس سوى غروب في دنيا ليست سوى دنيا.

وقد أتى غدًا وأتى معه حبيبي وقال لي هيا لنخرج ونستمتع بوقت الغروب.

ولأول مرة أجلس وأنتظر الغروب وأرى الأحباب والأصحاب والعائلات ينتظرون فوق الجبل وقد أتت لحظة الغروب، وأتت معها الوحدة والغربة والحزن رغم جلوسي مع حبيبي.. وعلمت حين رأيت الفرحة على وجهه أنه كان ينتظر مجيء الغروب لكني كنت أنتظر رحيل الغروب.. لكن لا يهم فكلانا منتظران.

فإليك أيها المنتظر يجب أن تعلم ماذا تنتظر وتتمتع بانتظاره ولا يهم ماذا ينتظرون الآخرون فالعالم كله منتظر.

اللاشيء



عائدٌ إلى الديار، محملٌ بالشوق والحنين إلى ولديه وزوجته وبيته.

-هل سيتذكراني؟!.. وكيف وقد كانا رضيعين صغيرين. هل اشتاقت لي زوجتي؟.. بالطبع، وسوف يسعدون بالهدايا التي جلبتها من الخارج وسوف أشتري لهم كل ما يتمنون.

وصل علي إلى المطار بعد غربة طالت سنوات، نظر حوله متلهفًا: أين هم؟!.. لماذا لم يستقبلوني؟!.. ألم يصلهم الجواب بعد؟

أخذ علي سيارة أجرة عائدًا إلى أسرته التي تركها منذ سنوات وسافر ليعمل بالخارج ليوفر لهم مالًا وفيرًا وحياة كريمة، عاد "علي" محملًا بالحب إلى ولديه اللذين يجهل شكلهما، ومحملًا بالشوق إلى زوجته "حنان" التي سافر من أجل سعادتها وراحتها.

وها هي اللحظة التي ينتظرها "علي" منذ سنوات.

واقفًا أمام باب شقته.. ينتظر أحضان ولديه له، ينتظر سعادة زوجته بعودته.

رن جرس الباب ويده ترتعش فرحًا ففتح له رجل لا يعرفه فصمت قليلًا هل نسى العنوان؟!.. لا!

بل هو عنوان شقة صرخ "علي" في وجهه: من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟!

فقال له الرجل: من أنت؟!.. وماذا تريد؟

جاءت "حنان" من وراء هذا الرجل قائلة: ماذا هناك يا علي؟ ولما هذه الضجة؟

هاهي "حنان" يا "علي".. زوجتك.. فهذه شقتك إذاً ، فلكم "علي" الرجل فسقط أرضًا، ودخل "علي" إلى الشقة.

-ماذا هناك يا حنان؟!.. وماذا يفعل هذا الرجل في بيتي؟

وقف الرجل: أخرج من شقتي أيها المجنون وإلا أبلغت الشرطة.

في هذه اللحظة يتجه ولدين صغيرين في اتجاه هذا الرجل: أبي.. أبي.. ماذا يجرى يا أبي؟!

تصرخ الأم: اذهبا إلى الداخل الآن أيها الصغيرين.

قال "علي": أنا "علي".. زوجك.. وهذه شقتي.. وهذان ولديّ ماذا يجري؟ أفهميني يا "حنان"!

صرخت: هذا الرجل هو علي زوجي.. وهذه شقتنا وهذان ولديّ أنا وهذا الرجل.

ثم توجه الرجل إلى علي ولكمه عدة لكمات وقذفه خارج الشقة وقال له: اذهب من هنا أيها المجنون وإياك أن تعود ثانية وإلا أبلغت الشرطة.

وأغلق الباب...

وقف "علي" وهو في حالة ذهول، لا يفهم ماذا يجري؟!.. ولم يستدرك الموقف بعد.

ذهب "علي" بعد ذلك إلى الفندق المجاور لعمارته لكي يفكر ماذا سيفعل الآن حتى لمح من غرفته حنان وهي خارجة من باب العمارة، فنزل سريعًا من الفندق واتجه إليها وقد بعدت قليلًا عن العمارة وأمسك بيدها فأوقفها وقال: اسمعيني يا حنان أنا "علي" زوجك.. أعود بعد سفري إلى شقتي وأسرتي فأرى ماذا يجري؟!

قالت في هدوء: أترك يدي وإلا صرخت وجمعت الناس حولي وحينها إذًا قل ما تريد يا "علي".

قال علي: تعلمين أنني "علي" فلست مجنونًا إذًا.

قالت: لقد استعرت اسمك قليلًا، فهيًا ابحث لك عن اسمًا آخرًا وعائلة أخرى.

صرخ: ماذا تقصدين؟!.. تكلمي.

قالت والدموع تملأ عينها: أنت الذي أرغمتني على هذا.. قلت أنك ستعود بعد سنة ولم تعد، بعد سنتين ولم تعد، وثلاث ولم تعد.. إلى متى كنت تريدني أن أنتظر.. كنت أريد أن أشعر برجل بجواري وبحب يساندني.. والطفلان كانا يريدان أبًا يربيهما، أبًا يشعرهما بالأمان.. ولقد أحببت هذا

الرجل لكن في ذلك الوقت كان هاربًا من حياته.. هاربًا من ماضيه فأعطيته اسمك وحصل على بطاقة باسمك وأصبح أنت.

صمت "علي" قليلًا فلا يعرف ماذا يقول.

-لقد كتبت لكِ الخطابات وقلت لكِ أنني قادم قريبًا وكنت أرسل لكِ المال.. المال الكثير وأنت كنت تعطيها لهذا اللص!

قالت: لا، كنت أعطيها للأطفال ولا تقل لص فهو زوجي وأب لطفليّ.

صرخ علي: سوف أبلغ الشرطة وسوف أسترد اسمي وأطفالي.

قالت في سخرية: اذهب سريعًا وسوف أنتظرك بالشموع.

توجه "علي" سريعًا إلى قسم الشرطة وقال: ساعديني يا حكومة كي أستعيد أسرتي وبيتي واسمي.

فقال الضابط: ماذا تريد يا رجل؟

قال "علي": أريد أطفالي وأريد اسمي.

فقال الضابط: حسنًا، اذهب إلى الشارع المجاور واجلب لي اسمي معك.

قال "علي": لقد سرق اللص زوجتي وأطفالي واسمي واحتل بيتي.

رد الضابط: " لم يرَ اللص إلا اسمك في الشقة ليسرقه!.. اذهب من هنا وإلا أبلغت عنك المصحة العقلية.. خذه يا عسكري من أمامي.

أمسك العسكري "علي" وظل "علي" يصرخ ويصرخ: لست مجنونًا.. صدقوني فقد سرق اللص أطفالي وزوجتي و لم يترك لي حتى اسمي...

قذف به العسكري إلى الخارج قائلًا: إن أردت المساعدة فأبحث عنها في مكانٍ آخر.. لا.. لا تبحث عنها فلن تجدها وإن أردت الحياة فأغمض عينيك وأغلق فمك.. ولماذا تريد اسمك؟ فلا نفع له في هذه الدنيا.

فذهب "علي" من أمامه ولا يعرف إلى أين يذهب وماذا يفعل، يتلفت حوله ولا يعلم عن ماذا يبحث وقال: أيتها الغربة، لقد أخذتِ منى كل شيء، لقد أضعتِ مني بيتي وأسرتي، سرقتي مني شبابي وصحتي و لم تستطيعي أن تحافظي على ما تبقى لي وهو اسمي؛ فلقد أضعته.. أيتها الغربة أعيدي لي كل شيء، يا ليتني لم أرَ سنواتك و لم أعش أيامك، فلماذا أخذتِ منى كل شيء؟!.. وفى النهاية أعطيتني اللاشيء!

الشوك والهوى



يمشى بين الشوارع والبيوت، بين الحواري والقصور نهارًا وينادي بين الناس مرتديًا جلبابه وشبشبه الممزق حتى يكسب رزقه ثم يعود إلى مترله يستحم ويزيل الشوك من يده ويرتدي بدلته الأنيقة وحذاءه اللامع ويصبح رجلًا آخرًا.. رجلُا أنيقًا ذي هيبة وذي جمال وأناقة أخاذة.

يخرج من المترل.. يمشى بين الشوارع والبيوت.. بين الحواري والقصور ليلًا وينادي في داخله: أنا رجل عظيم.. أنيق وجميل.

يضع يده في جيبه ويقف على ضفاف النيل.وقفة النجمة اللامعة في سماء سوداء.

الوقت ينغمر في الليل ويزال واقفًا يشاهد الليل والليل يقول للناس: أتستمتعون بي؟.. هل أنتم خارجون من بيوتكم في هذا الوقت المتأخر لتشاهدون جمالي أم تضيعون وقتي لأنه لا يعجبكم؟

ثم ينظر الرجل إلى النجمة ويقول لها: أنا الأجمل، صحيح؟ أنت حقًا جميلة ولامعة لكن لستِ مثلي.

وقال لها: أنظري حولك.. هيا أنظري، لماذا لا تنظرين؟!.. لأنك خجوله حيث يوجد نجمات أخريات لديهم جمالك ولمعانك؛ لكن أنا لا يوجد رجلًا في أناقتي وجمالي.

ثم يسمع ضحكات الناس من حوله تعلو وينظر إليهم فيراهم يضحكون ويقول في داخله: لماذا يضحكون؟! أيضحكون علي؟! أيستهزئون بي؟

وينظر سريعًا إلى جسمه وإلى قدمه ويتفقد نفسه جيدًا ويقول: ها أنا مرتديًا بدلتي الأنيقة وحذائي اللامع فماذا هناك؟ هل يعرفون؟ فليس من حقي أن أقف على الكبري وأتمشى مع النيل وأتحاور مع النجوم؟

ثم يمشي والدموع تملأ عينيه وفجأة يقف ويجف الدمع من عينيه وتقع أنظاره على ما لم يرَه من قبل، إنها النجمة التي كان يحاورها منذ لحظات فقد جاءت له لتقول أنها الأجمل ويؤمن بداخله أنها حقًا الأجمل.

وقال للفتاة: أنتِ حقًا جميلة.

ظلت الفتاة الجميلة واقفة أمام عينيه.. صامتة لا تتحرك ولا تتكلم.. وها هي قد وقعت فيما لا يستطيع المرء أن يخرج منه وهو الحب.. الحب من أول نظرة.

سار الرجل والفتاة الجميلة وحكت له عن حياتها وما يخصها لكنه لم يحكِ شيئًا و لم تسأل هي.

وفى آخر هذا اللقاء سألته: أين سيارتك؟

فقال لها: سيارتي عند البيت فلا أحب أن أقودها في الليل فقد مللت منها فهي معي طوال النهار.

وأوصل الفتاة إلى مترلها وقالت: له سوف أراك مرةً ثانيةً؟

قال: بالتأكيد، غدًا؟

قالت: حسنًا، غدًا صباحًا.

فقال لها: اجعلي الموعد في الليل، فالحياة في الليل تختلف عن الحياة في النهار.

وأخذا يتقابلان عدة مرات في الليل، حيث أحب الرجل الفتاة كما أحب الليل الذي يخفي وراءه حقيقته وحياته وكلما انغمر الوقت في الليل تناسى الرجل جلبابه وشبشبه الممزق وأصبح رجل البدلة الأنيق، الرجل اللامع في الليل.

وفي نهار يومٍ طبيعي من أيام حياته العملية، أخذ عربته يمشي بين الشوارع والبيوت، بين الحواري والقصور وينادى بين الناس، رأى فتاته الجميلة واقفة أمام عينيه، صامته لا تتحرك

ولا تتكلم كما في اللحظة الأولى من لقاءهم لكن في هذه المرة لم تقع الفتاة في الحب بل وقعت في الصدمة.

أخذت الفتاة تنظر إلى جلبابه وشبشبه الممزق، لا تصدق ما تراه، هل هذا الرجل هو الذي تعرفه، أم أنه رجلًا آخرًا؟!

قال لها: أنت لم تسألي، أنا لم أكن أكذب، أنت التي لم تسألي.

فقالت له: بائع تين شوكي، هل أحببت بائع التين الشوكي.

قال لها: لا، أحببت الرجل ذو البدلة الأنيقة، لقد أحببت رجل الليل.

قالت: لم تكذب.. فأين السيارة إذا؟

قال لها:" هاهي.. عربة التين الشوكي.. فلقد قلت لكِ أن الحياة في الليل تختلف عن الحياة في النهار.

قالت: لقد خدعتني أيها الوسيم.. لقد أحببتك بجد وكان أيضًا من حقى أن أحب البدلة الأنيقة والحذاء اللامع وليس...

قال: يمكن أن أزيل الشوك من يدي لكن من الواضح أنني لاأستطيع أن أزيله من أعماق جسدي.. فأنا بائع التين الشوكي وسوف أظل طيلة حياتي بائع التين الشوكي.. لا يمكن أن أكون شخصًا آخرًا.

صمت قليلًا ثم قال: قابليني في الليل.. لا، قابلي الرجل ذي البدلة الأنيقة والحذاء اللامع وأحبيه بجد لأنه يحبك حقًا فأنت نجمته التي يراها في الليل ومن الصعب أن تكوني شمسه.

قالت: يا ليت الحياة تصبح ليلًا فقط.

قال: لا.. يا ليت الحياة تصبح نهارًا فقط لكي أتمكن من أن أكون رجلًا واحدًا وكي تتمكني من أن تحبي رجلًا كاملًا وليس نصف رجل.

الساعة الحادية عشر



أنا أدهم، كنت أمشي في حارة ضيقة في حيٍ شعبيّ ورأيت فتاة تتدلى من شرفة وشعرها يتطاير على وجهها ولمحت عينيها الزرقاء تنسكب منهما دمعتان دمعة تلو الأخرى تجريان على خديها فناديت: يا حلوة، لماذا تبكين؟

فقالت بصوت متقطع: لقد ضاع مني شيءً ولا أظن أنني سوف أجده مره أخرى.

قلت: وما هذا الشيء كي أبحث معك؟

فقالت الحلوة: ليس شيء واحد بل أشياء عدة.

فقلت: قولي لي، أنا أريد المساعدة.

فقالت: أصعد إلى الأعلى لكي أقول لك، فأتمنى لو أنك تستطيع مساعدتي.

فصعدت السلم وطرقت الباب ففتحت الحلوة وقالت لي: تفضل وأشرب شاي.

فدخلت وجلست وانتظرت ثم جلبت لي الشاي وجلست أمامي فقلت لها: عينيك تقول أن هذه الأشياء المفقودة هامة أو غالية فأنت حزينة عليها.

قالت: الذي ضاع منى أغلى مما تتصوره فسوف أقص عليك ما جرى:

"كانت الساعة الحادية عشر مساءً عندما كنت ذاهبة لأبحث عن طعام، أسير لا أعرف إلى أين، عيني تدور يمينًا ويسارًا

باحثة عن طعام ما، وعندما كنت أعبر الطريق صدمتني سيارة بيضاء، فترلت من السيارة سيدة عجوز وجرت نحوي وحملتني من رقبتي واحتضنتني ثم أخذتني معها إلى السيارة وأجلستني بجوارها وانطلقت ثم وصلنا إلى بيت كبير فترلت من السيارة وحملتني معها ودخلت هذا البيت فذهبت أتجول في هذا البيت الكبير. ثم دخلت السيدة العجوز إلى المطبخ وأحضرت لي طعام، فأكلت ثم رأيت كرة صغيرة حمراء فأخذت ألعب بها وأخذت أقفز فوق الكراسي حتى جاءت السيدة العجوز وقالت: ألن تتوقفي عن اللعب أيها الشقية؟!

فجريت فتوجهت نحوي سريعًا وأمسكت بذيلي وقالت: لقد جاء موعد النوم أيها القطة.

حملتني، ووضعتني بجوارها في الفراش.

وفى الصباح استيقظت السيدة العجوز وجلبت عصا طويلة لونها أبيض وقالت لي: ألا تريدين أن تصبحي فتاة حسناء جملية بيضاء، عينيها زرقاء، وأن تكوني إنسانًا وليس قطة؟

وأخذت تحرك العصا ثلاث مرات وتوجها نحوي حتى شعرت بشيء غريب في جسدي فأخذتني من يد غريبة وأوقفتني أمام المرآة فرأيت فتاة حسناء، جميلة بيضاء، عينيها زرقاء.

فقالت لي السيدة: أهلًا بك في عالم الإنس، حيث الحياة بلا ذيول.

فسألتها: أين ذيلي، أين شعري؟!.. أين يدي القصيرة!.. أين أذناي الصغيرة!.. وأين أنا؟!.. لقد فقدت كل شيء، ضاع مني ذيلي وأذني ويدي.: فأخذت أبحث عني كثيرًا لكني لم أستطع العثور عليّ فأين أجدها؟!.. فماذا أفعل الآن يا أدهم؟!

فكرت بالرحيل فحاولت الوقوف لكني لم أستطع فقالت الحلوة: لا تحاول الوقوف لقد وضعت لك المخدر في الشاي وسوف تفقد الإحساس بكل شيء من حولك بعد دقيقة من الآن، ولقد جئت أنت إلى هنا لكي تعرف ماذا ضاع منى وتساعدني وسوف تساعدني حقًا لقد ضاع منى قط صغير وأنت سوف تكون قط لتعوضني عن هذا القط وسوف أسهل عليك مشقة

البحث عن قطٍ آخر. فشكرًا للمساعدة.. وقد نسيت أن أقول لك أنني لستُ الفتاة الحلوة أو القطة الصغيرة؛ بل السيدة العجوز وقد جعلت نفسي فتاة حلوة بهذه العصا التي سوف تجعلك الآن قطًا مسكينًا؛ فأهلًا بك في عالم القطط حيث الحياة بذيول.

أصابع بلا أيادي

أجنحة بلا طيور، أجسام بلا رؤوس، ذيول بلا قرود، وأصابع بلا أيادي؛ هكذا أصبحت الحياة الآن، يسافرون ويعودون، يذهبون ويأتون، يقفون ويجلسون بلا أهداف.

الإنسان أصبح يدور حول نفسه ولا يحاول أن يخرج من هذه الدائرة. وأنا أعبر الآن على جسر مملوء بالأخطار فهل سأعبر أم سأقع، أتمنى الوقوع أفضل من عذاب العبور، قابلت

إنسانًا من هذا العالم وليس من عالمٍ آخر يدور أيضًا حول نفسه لكني تعرفت عليه وتزوجت به؛ فجعلني أفتح أبواب من خلفها غرفًا، رأيت في هذه الغرف أشخاصًا جالسين في

أيديهم مال كثير ومن حولهم الذهب والمرجان، يبكون بشدة ويصرخون ثم يصمتون وكأنهم ينصتون، يسمعون ضمائرهم وهى تلومهم على ما فعلوه بأنفسهم. ليس من حقي أن أقول لك يا ليتك لم تقابلني يومًا؛ بل أقول لك يا ليتك تعلمني كيف أغلق هذه الأبواب فهي تؤلم عيني كلما رأيتها وأشعر كأن الأرض تهتز من تحتي فأعطني المفتاح.. هيا.. أعطني إياه.

لا تقل لي أنك أعطيتني المفتاح فهذا المفتاح لا يغلق هذه الأبواب لا بل يزيد الغرف اتساعًا؛ فهذا المفتاح يمكن أن يغلق عقلي وليس الأبواب.

أخذني من بحر البراءة إلى عالم لا يسكنه إلا الشياطين، أخذني من أعماق الدفء إلى محيطٍ باردٍ قد ظلت البراءة تذوب من على جسدي وتنزل قطرات.. قطرات حتى انتهت، أخذ مني ضحكتي وأعطاني جوربًا مخروقًا. لماذا فعل بي هذا؟!.. أبدافع الحب؟!

أخذني من على بساط الحب وأنزلني على غابة سوداء يظن فيها أنه الأسد.. أفقدني الإحساس بالأمان.. الإحساس بالحياة.. فكم أصبحت الحياة معه خوفًا وظلام.. لا أعلم إن كنت أحبه أو أحتاج إليه، أعشق حركته أو أشمئز منها، تتساقط من فمه كلمات تضرب قلبي وتحطمه، تفقدني الإحساس.

لا أعلم إن كنت أحب سماع هذه الكلمات أم أشعر بأنها فراغ!

يخيفني أحيانًا ويطمئني أحيانًا أخرى.

من الممكن أن يكون ملك قلبي لكنه لم يملك عقلي ولن يملكه أبدًا... أعطاني الحذاء كي أمشي به إلى طريق ليس له نهاية على أرض مفروشةً بالصخور.. أمشي عليها فأضحك من شدة الألم. أعطاني قناع زائف كي أضعه على وجهي، أعطاني لسان زائف كي أضعه مكان لساني، أعطاني عيون زائفة أضعها بدلًا من أعيوني وأعطاني يد زائفة، أضعها مكان يدي كي ألمس

الحياة بطريقة مختلفة وأرى الناس بطريقة مختلفة وأتحدث إليهم أيضًا بطريقة مختلفة وأبتسم إلى حياة ليست هي بحياة بل هي موت.

لماذا جعلتني أترك الورود من يد؟!.. فكانت تشعرني بالفرح.. لماذا أعطيتني عطر ليس مثل كل العطور!.. عطر تفوح منه رائحة الكذب والخيانة.

أجننت يوم أحببتك؟!.. أألوم حالي، أم ألوم الناس الذين أعطوني الفرصة كي أحتاج لشخصٍ مثلك؟.. شخص حقير يأكل أرواح الأطفال.. يجعلني أساعده في خطف الأطفال الأبرياء ثم تخديرهم ثم سرقت بعض الأعضاء من أجسادهم ويقذف بها إلى حافظة الأعضاء ويذهب بها إلى سوق تجارة الأعضاء ويقف وينادي: بكم تشتري عين وبكم تشتري قلب.

كأنه يبيع برتقال. فلا يعلم بان له ربًا سيحاسبه؟!

أهذا إنسان لديه شعور أم هو شيء يتكلم ويسمع فقط؟!

وأنا أيضًا لست بإنسانة لقد فقدت الإحساس عندما قابلته، فهل يتركني ضميري بدون حساب وإن تركني فالله لن يتركني بدون حساب. إلى متى سوف أظل صامتة، مغمضة العينين، معتصمة عن الحق، إلى متى سوف أترك نفسي غاطسة في محيط الجرائم؟!.. الى يوم يكتشف الجميع خيانتي أم إلى يوم سوف يقف الجميع أمام الخالق؟

فماذا ستفعل من أجلي يومها؟.. فماذا اكتسبت أنا من حبك؟!



أشلاء أيام



يا من أنتظرك لكي تعود، عد إليّ وأعد معك كل ما جلبته لي.

إلي متى سأنتظرك؟ متى ستعود إليّ؟ فأجبني أرجوك.

قال: ستنتظري إلى الأبد، فلن أعود، لن آتي مجددًا.

قلت: لماذا؟!

فأجاب: لكي تعيشين مستقبلك.

قلت: لا.. لا.. أحببتك أنت.. أحببتك أنت.. لا أريد المستقبل؛ فأتوسل إليك ارجع أرجوك.

تركني.. أحببته، أحببت كل ما فيه، غفوت بين أحضانه فحلمت وتمنيت حينها أن يتركني رغم حبي له، لكن يا ليته لم يتركني، أحتاج إليه، أحتاج إلى كل قبلة كان يضعها على أناملي، أنتظرك والدموع تملأ عيني، أنتظر كل بسمة وكل فرحة أعطيتني إياها.. أصرخ، أتسمعني؟

فقول لي: أيها الماضي.. أيتها الأيام الماضية.. أين أنتم؟!

صحيح أني حلمت أن تتركني أيها الماضي لكني نادمة ومذنبة، فالحاضر يعذبني والمستقبل سوف يقتلني.. فأرجوك لترجع أيها الماضي.

قال: ليس الذنب ذنبك ولا جدوى من الصراخ أو الندم؛ فلن أعود.. يجب عليّ كماضي أن أبقى ماضٍ ويجب عليكِ كإنسانة أن تعيشي الحاضر وتنتظري المستقبل.

لا يجب عليك العودة كي تعود ضحكاتي، كي تعود لي فرحتي، لقد سلب مني الحاضر ضفائري وسلب براءتي.

قال: لا يستطيع الماضي أن يكون حاضرًا ومستقبلًا وعمرًا بأكمله ولا تستطيعين أن تكوني طفلة صغيرة في الماضي والحاضر والمستقبل.

أيتها الأيام الحاضرة أين أحضانك؟ أين قبلاتك؟ فلا أرى منك إلا أشلاء.. فإن لم تستطيعي أن تعيدي لي طفولتي فأعيدي لي فرحتي.

أيها المستقبل سوف أكتب لك رسالة أتمنى أن تقرأها: أيها المستقبل، إن لم يكن لك أحضان وقبلات فليكن لك يد لتصطحبني إليك، وإن لم يكن لك يد فليكن لك قدم كي نتخطى

بها الحاضر، وإن لم يكن لك قدم فليكن لك عين للنظر بها إلى ما لا نهاية وإن لم يكن لك عين فسأقول لك بأنك بلا جسد× فلا تأتِ.. فلا أحب أن أرى أشلاء أيام .

وضحك الحذاء



رأيتها، رأيتها وهي تمشى ببطء نحوه، تخلع حذاءها، تخلع حذاءه ثم تخلع قميصه، وتجلس بجانبه وهو نائم وتغمر السكين في صدره فيتناثر الدماء على وجهها وتمتلئ
الغرفة باللون الأحمر.

ثم ذهبت إلى الحمام لكي تستحم وعندما خرجت من الحمام فوجئت بي أمامها؛ فضحكت بصوت عالٍ وقالت: ماذا تفعلين عندك يا صغيرتي؟!.. تعالي معي كي نُحضر العشاء.

ومسكت بيدي المرتعشة وذهبنا للمطبخ وجلبنا العشاء وجلسنا كي نأكل ثم قالت: لماذا لا تأكلين؟!.. هيا خذي هذه التفاحة.

وعندما انتهت من الطعام قالت لي: اجلبي لي المجلات.

فلم أتحرك فقالت: ماذا بك اليوم؟!.. لماذا أنت حزينة هكذا؟

لا أعرف ماذا أقول لها أو ماذا تنتظر مني أن أفعل، فأنا خائفة ثم قالت: آه.. علمت أنك حزينة لأن عمك لم يأكل معنا العشاء لكنه نائم وقال لي أنه لا يريد أحد أن يوقظه.

أجنت زوجة عمى أم تضحك علي!.. ألا تعلم بأني رأيتها! فهو ليس نائمًا كما قالت.. هو قتيل.. ماذا أفعل؟!

أأخرج من البيت خوفًا من أن تقتلني بعد أن قتلت عمي؟! أم أتحدث إلى البوليس ويأتي ويصطحبها إلى السجن؟

ثم.. ماذا سيفعلون بي؟!

قالت زوجة عمي: اذهبي و أيقظي عمك كي ترتاحي يا صغيرتي.

فوقفت خائفة، كيف سأذهب إلى هذه الغرفة المليئة بالدماء؟!.. أجنت كي تقول لي هذا؟!

ذهبت ببطء إلى الغرفة وفتحت الباب ورأيت عمي نائمًا ويتنفس مثلي والغرفة ليست مملوءة بالدماء والحال في الغرفة طبيعي.

خرجت من الغرفة وأنا أستعيد أنفاسي فقابلتني زوجة عمي وقالت: ماذا؟.. أأنت حزينة؟!.. جاوبيني.. هل أنت حزينة لأني لم أقتل عمك وترتاحي منه؟ هل أنت حزينة لأني لم أنهي هذا العذاب الذي يطاردك؟.. فأنا الآن سوف أنهي كل شيء.

ثم ذهبت سريعًا إلى المطبخ وجلبت السكين ودخلت الغرفة وقالت لي: اضحكي، لماذا لا تضحكين؟!.. أريدك أن تسعدي.

وطعنته بالسكين في صدره والدماء تفيض منه وأصبح

السرير يسبح بالدماء ثم خرجت وقالت لي: أتريدين أن أبلغ البوليس أم تفضلي أن أطعن نفسي بذلك السكين؟

وأنا واقفة أشاهد ما يجري ولا أعلم ماذا أقول أو ماذا أفعل لهذه المجنونة!

فقالت: لماذا لا تتكلمي؟ لماذا أنت صامتة؟

ثم ذهبت إلى الشباك وألقت بنفسها من الشباك.

وفجأة سمعت جرس الباب، ذهبت إلى الباب وفتحته فرأيت عمى وزوجة عمي واقفين أمامي ويقولان لي: هل يمكننا الدخول؟

وعندما دخلًا، جلبا السكين وطعنني عمى في صدري.. فانتهى كل شيء مثلما قالت زوجة عمي وفجأة سمعت زوجة عمي تقول: كل هذا الوقت توقظي عمك يا صغيرتي؟!

ودخلت الغرفة وقالت: ماذا بك اليوم؟!.. هيا كي نوقظ عمك ولا تحزني فهو لن يغضب منك لأنه لم يتعشى معنا.



وأنت بجواري

لقد مللت الانسجام معك، مللت اقتحامك حياتي ومللت تغلغلك في أفكاري.

لماذا تأتي كل يوم؟!.. لا أريدك.. لا أريد التحدث معك، فأغرب عن حياتي واتركني وشأني.

قال ببرودٍ شديد: لقد أصبحت جزءًا منك، جزءًا من عروقك، حبيباتٍ في دمك وقطرات من دموعك.

قلت: ربما أنت على حق، لكني أكرهك وأكره اغتصابك لأفكاري واحتلالك لأعصابي ربما أيضًا أعدت لقاءك كل يوم وكل لحظة، أنت أصبحت شعورًا. أشعر به في كل ثانيةٍ من عمري فمتى ستتركني؟

قال: أنا لم أقتحم عقلك، لماذا تفصلي بيني وبينك؟.. أنا ممزوجٌ بشراينك، مختلط بدمائك، محفورٌ في قلبك والويل.. كل الويل إن تخلصتِ مني.

قلت: ملكتني وملكت أفعالي، حاولت التخلص منك منذ سنوات لكني ألقاك كل ليلة فتشلني وتوقف نبضي.

قال: لماذا لا تفهمي؟.. فأنتِ التي وضعتني في قلبك وأسرتني في عقلك؛ فكان بيدك كل شيء وليس بيدي.

قلت: عندما كنت طفلة وأتيت أنت إليّ؛ انغمرت في أحضانك وتعمقت في قلبك، ومنذ هذه اللحظة وأنت لم

تتركني فأشعر بك حيًّا في أنفاسي، متأصلًا في سنواتي ومتعمقًا في تفاصيل حياتي.

قال في هدوء: لماذا لا تتذكري أكثر؟.. كل لحظة في حياتك كنت معكِ ، فأنت لم تختاري طريقًا في حياتك بل أنا أختار لكِ طريقك، هل تستطيعين أن تنسى هذا وتعيشي بدوني؟!.. ففكري؛ فقد أعتدتِ عليّ وأصبحتُ منبعثًا من داخلك فلم أعد آتي من الخارج. هل تتمنى أن أكف عن مطاردتك؟.. فهيا كُفّي أنتِ عن التفكير بي.. فبماذا تفكري بالليل؟.. أليس بي؟!.. هيا أجيبي.. وماذا يشغل بالك دائمًا؟.. أليس أنا؟!.. بل أنا.

فقلت له: أيها الخوف ابتعد عني، خوفًا من أن يشيب عمري وتهش عظامي وأنت بجواري، أيها الخوف النابع مني الخارج من أنفاسي هيا أهرب مني واتركني؛ عسى أن أشعر بشيءٍ غيرك، عسى أن يأتي إليّ الأمان فأفتح له قلبي وأحضاني، أيها الخوف.. أيها المالك لعقلي، المسيطر على قلبي، متى سوف يزول استعمارك؟.. ويا لخوفي أن أدفن وأنت بجواري.

وأحبها الرجل



كان جالسًا مع صديقه المقرب بالمقهى الذي دائمًا يحبان الجلوس فيه.. تسيل الأمطار وتسقط على نوافذ المقهى وتسيل معها دموعه.. يحتسيان القهوة منذ ساعات ومازال صديقه يخفف عنه ويمسح دموعه قائلًا: هيا.. هيا قم لتذهب إلى البيت وتستريح لقد تأخر الوقت.

يرد الرجل: كانت جميلة، رقيقة، فاتنة.. لن أقابل أفضل منها طيلة عمري.. لقد أحببتها، أحببتها بصدق أنت تعلم.. صحيح؟

قال الصديق وهو يضع يده على رأس الرجل برفق محاولًا أن يزيل همه: نعم أعلم.. أعلم كم أحببتها وكنتما سعيدان سويًّا؛ لكن سوف تلتقي بغيرها وتحبها وتتزوجها.

زادت دموعه مع هذه الكلمات وقال: كانت زهرتي وبيتي، ملجأي في حزني، أصدقائي في وحدتي.. تعلم إنني لن أحب سواها.. أحببتها في صمت لسنوات وعندما اعترفت لها بحبي لم أصدق أنها قبلت بي حبيبًا لها.. تتذكر عندما كنت أحكي لك عن عشقي المكمون وعندما كنت تسخر أنت من نظرات إعجابي بها.. يا ليتها لم تقبل بي حبيبًا لها في العلن وظللت معجبًا خفيًّا لا يعلم ما بداخله أحد سوى أنا وأنت.

حزنًا تحدث الصديق: أتذكر كل ذلك فعيني تشهد على لحظات حبكما السعيدة كما تشهد على دموعك الآن؛ فكل شيء نصيب والقدر هو الحكم.

قال الرجل غاضبًا: لا تقل لي نصيب وقدر؛ فأنا أعلم كل ذلك جيدًا لكني أعلم أني لا أستطيع نسيانها.. كم اشتقت لها ومازالت أثار خطواتها في المكان ورائحتها مترامية على جدران المقهى فماذا أفعل بعد عدة أيام؟!.. لماذا تركتني وشعرت بغيري؟!..أكره أن أكون كذلك.. أسأل ولا أجد الإجابات.

يقترب الصديق منه أكثر: هوِّن عليك يا صديقي، أشعر بك صدقني.. فكانت طيلة حياتنا فتاة أحلامك وشعاع مستقبلك أتذكر عندما كنت تحاول لفت انتباهها بحركاتك، أتذكر عندما كنا نلعب الكرة وتمر هي بجانب الملعب فتنسى كل ما حولك وتنسى الكرة والملعب ويضحك عليك زملائنا، وأتذكر أيضًا أسعد لحظة بحياتك عندما صارحتها وهاتفتني وقد كنت أسمع دقات قلبك عبر السماعة و حروف كلماتك ترقص فرحًا وأنت تقول وافقت.. وافقت وصرت حبيبها.. لكن يجب الآن أن توضح لعقلك بأن ذلك أصبح ماضي وترسم لقلبك مستقبل بحبٍ جديدٍ لا يتذكر اسمها.

قال الرجل: لكني أعشقها عشق الجنون.. أعشق كل تفاصيل حياتها، أعشق ملامح وجهها.. كم أحب أن أستنكر مني وأصبح حذاءً لقدميها، كم أحب أن أتخلى عني وأكون فستانًا على جسدها.. أنت لا تفهمني صديقي لا أستطيع أن أمحوها من ذاكرتي؛ فإنها أن لم تعش معي طفولتي فقد كبرنا

سويًّا في عقلي، إن لم ترضَ بي زوجًا لها؛ فقد قبلت بها زوجة لي في أحلامي، فإن لم تكمل معي حياتي؛ فسأعيش معها في مخيلتي، وإن لم أشهد موتي على ذراعيها؛ فسأموت في حضن عينها داخل رسوماتي.

صمت الصديق لا يعلم ماذا يقولَ ثم همس: لا عليك بكل ذلك صديقي فهي أحبت غيرك، فلن أقول لكَ هذه المرة أن تنساها فلتعش حياتك فقط بدونها وتحب أخرى ولا تكتفي أن تعش على ذكراها.

قال الرجل: أكثر ما يؤلمني في هذا الأمر إني أخاف عليها من ذلك الحبيب الجديد.. أن يجرحها.. أن يتركها أو يقسو عليها يومًا.

قال الصديق: لا.. لا تخف فلن أجرحها، أو أتركها، أو أقسو عليها يومًا.. فلا تشغل بالك صديقي.. أنا حقًا أحببتها.

هؤلاء

"حرية.. حرية.. حرية" كلمات كانت تخرج من بين شفتيّ كالرصاصة التي تخرج من فم السلاح.. صوت يكاد أن يفجر أذنيّ، صوت آتيًا من حولي، صوت صادر من هؤلاء.

يمشون إلى الأمام باتجاه الدروع التي يحملوها أصحاب الزي الأسود، رافعون أيديهم مطالبون برفع الاستبداد وبمحي الدكتاتورية، مطالبون باستعادة وطنهم. رجال وسيدات، أطفال وشباب يهتفون بالسلام، يهتفون من أجل الحرية.

دموع تملأ أعينهم.. دموع اُحتجزت لسنواتٍ وحان الوقت كي تسقط على وجههم و ابتسامة تعبر عن أملٍ، تنتظر فجر جديد وضحكة طفل ممسك بعلمه، يشعر بشيء يجهل معناه وصرخة أم تحمل كل مفاهيم الألم وخطوة رجل تجسد ملامح الأبطال.

يتقدمون في صفوف منظمة نحو عناصر تبدو بشرية، يمشون في هدوء الأذكياء، يناجون مناجاة الأبرياء، يتحركون في ثبات وكبرياء مطالبون بالعدالة، يتحركون نحو أهداف شرعية.

وإذا بعناصر الجهة المقبلة تتحرك بسرعة في اتجاههم وتتحول من عناصر كانت تبدو بشرية إلى عناصر آلية ممسكة بشيءٍ من حديد تضرب به كل من تراه أمامها.

في هذه اللحظة بدأت في الركض إلى الوراء هاربةً من هذه العناصر وأخذ الكل أيضًا يجري وتفككت كل الصفوف

ومازال أصحاب الزي الأسود يتحركون في قوةٍ نحونا وفجأة اختفوا وبقى هؤلاء.. يحاولون إعادة صفوفهم لاستكمال تقدمهم، يرجعون إلى وسط الشارع محاولة منهم في استكمال حركتهم إلى الأمام وإذا بسيارة ضخمة الحجم، زيتية اللون تفاجئهم من الأمام، تتحرك سريعًا نحوهم تريد أن ترمي بهم تحت عجلاتها وهم في حالة من الذهول يحاولون الفرار وها هي تحقق ما أرادته؛ ويسقط هؤلاء تحت عجلاتها صامتون بلا حركة.

قتلتهم في جزء من الثانية لكن سيظل عقلي يذكرهم على مر السنين وسيسأل أبنائي:من هؤلاء؟

سأقول لهم: هؤلاء الشهداء.. هؤلاء شهداء الحرية.


نظارة الماضي



تمشي على أصابعها، تحمل حقيبتها، تفتح الباب، تخطو خطواتها الرقيقة وتغلق الباب.

وحين يستيقظ الجميع فلا وجود لها.. أين ذهبت؟.. ولماذا هربت؟!.. أسئلة بلا إجابات.. إجابات بلا أسئلة.. أوراق بلا سطور.. سطور بلا كلمات.. هكذا أصبحت الحياة بعد رحيلها.

هل ينظرون للماضي أم للمستقبل أم للحاضر؟!.. فالماضي سنوات مضت.. والمستقبل خيالات لا أساس لها، أما الحاضر فهو الواقع والصدمة لهم ولها.

هل يضحكون، أم يصرخون؟.. في الصراخ قطرات من السعادة وللضحك دموع.. هل ستعود أم ستبقى بعيدة؟

هل في العودة آلام، وفي البعد أحلام؟.. هل ستحقق هذه الأحلام، أم ستسبقها الأحزان؟

فتاة تحلم أن تعيش حاضرها، تحلم أن تعرف ماضيها لتخطط

لمستقبلها، هذه الفتاة تعيش كخادمة لأسرة غنية.. لا تذكر شيئًا عن ماضيها، لا تعرف شيئًا عن عائلتها، ولا تعرف شيئًا أيضًا عن مستقبلها فهي تقوم فقط بدورها كخادمة في حاضر لا بداية له.

في يوم ذهبت لسيدها وسألت: ما اسمي؟

قالت: اسمًا؟!.. ولماذا؟!.. لا تستحقي أن يكون لكِ اسمًا؛ فأنت خادمة.

فسألت: لكن جميع الخادمات لديهن أسماء.

قالت سيدهّا: لا تشبهين نفسك بالخادمات الأخريات، هيا.. اغربي عن وجهي أيها الخادمة.

لا تعرف هذه الفتاة حتى اسمها، فهي لا تعرف سوى أهّا خادمة.. وفي يومٍ آخرٍ سألت الفتاة سيدهّا: أين عائلتي؟.. ومن هو أبي؟

فقالت: عائلة!.. أتسمحين لنفسك أن يكون لكِ عائلة!.. الخادمة تسأل عن عائلتها!.. فالخادمة أصبح لديها لسان وتحاور به سيدهّا!.. وأنا سأقطع هذا اللسان.. فهيا ارحلي من أمامي الآن.

ذهبت الفتاة لسيدها الصغير لتسأله: هل تعرف يا سيدي من هو أبي؟ أو أين عائلتي أم أنا مجرد خادمة ولا يحق لي أن أعرف؟

قال لها: أباك توفي منذ صغرك وكنت تعملين خادمة عندنا ولقد فقدتِ الذاكرة حين صدمتِ بإحدى السيارات.

وفجأة دخلت السيدة وقالت: ألن يصمت فمك أبدًا؟.. ألم أقل لكِ أني سأقطع لسانك؟!

ثم خرجت الفتاة سريعًا من الغرفة وذهبت إلى المطبخ حيث تنام.

وفي الليل جاءت سيدها إلى المطبخ وأيقظت الفتاة وأوقفتها ثم جلبت السكين وأخرجت لسان الفتاة من فمها وقطعته وقالت: هل يوجد عندك أسئلة أخرى؟ هيا أجيبي؟.. لماذا لا تتكلمين؟ من الواضح أنك أصبحتِ لا تحبين الكلام!

ومرت الأيام والفتاة تقوم بدورها، قانعة راضية بحياة الخادمة الصامتة.

وفى يوم سمعت هذا الحديث الذي دار بين سيدها وسيدها.

صرخت السيدة: لماذا؟!.. لماذا تبقي هذه الفتاة عندنا؟!.. لماذا لم نضعها في أي ملجأ؟ أو نسكبها في الشارع؟

فرد السيد: لا أنت تعلمين أني أريدها.

فقالت: تريدها كيف؟!.. أنت الذي قلت أن ابنك يكفيك.. ولا تريد هذه الفتاة.

فقال: أعلم لكن أنا أريدها كخادمة، ولا أريدها أن ترحل، أريدها كخادمة.

لم تفهم الفتاة حديثهما جيدًا لكنها شعرت بأنهما يكرهاها لكن لماذا حقًا لم يتركاها في الشارع؟!

وفى يوم وهى تنظف مكتب سيدها، فتحت بيدها الأدراج وفتحت معها الماضي ورأت بعينيها ورقة اعتراف بخط سيدها

يعترف ويقول: لا أريدها أن تذهب بعيد عن أعيني أريد أن أشاهدها وهى تخدمني كخادمة وأضربها كخادمة وأعطف عليها كخادمة وليست كابنتي، فإن خادمتي هي ابنتي.

رأت الفتاة الاعتراف ورأت أيضًا ماضيها، لم تلاحظ الفتاة كل تلك السنوات الشبه القريب بينها وبين سيدها الصغير فقد اختفت ملامحها الأصلية ولبست ملامح الخادمات وخلعت ملامح الأغنياء. فهذه العائلة لم تريدها كابنة لكن من الواضح أنها أيضًا لم تريدها كخادمة.

ورحلت الفتاة وهي تعلم ماضيها، تعلم عائلتها وتعلم أباها لكن لا تعرف اسمها.. والآن عرفت الفتاة ماضيها.. فهل ستعرف مستقبلها؟

فهل ستخلع ملامح الخادمات؟.. وأي ملامح سوف تلبس؟.. ملامح الحاضر، أم ملامح الماضي؟

الفهـــرس

